الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عمار ثليجي

كلية العلوم : العلوم الإنسانية والاسلامية والحضارة

قسم : التاريخ

# الحملة الفرنسية على الجزائر1830والحماية الفرنسية تونس 1881

## دراسة مقارنة

مذكرة تخرج ماستر تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر

إعداد الطالب :
قدور غزال

إشراف الأستاذ الدكتور: عمرجفال

السنة الجامعية: 2023/2022

# الإهداء والتشكرات:

# إهـداء

الحمد لله الذي أعاننا بالعلم وزيننا بالحلم وأكرمنا بالتقوى وأجملنا بالعافية

أتقدم بإهداء عملي المتواضع إلى

الذرع الواقي والكنز الباقي، إلى من جعل العلم منبع اشتياقي، لك أقدم وسام الاستحقاق إلى الأبوين أطال الله عمرهما.

رمز العطاء وصدق الإيباء ، إلى ذروة العطف والوفاء ، لكما أجمل حواء ،أنتما أمي وأبي الغاليين أطال الله في عمركما .

وإلى الأصدقاء والزملاء.

وفي الأخير يا رب

يا رب لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت ولا أصاب باليأس إذا فشلت بل ذكرني دائما بأن الفشل هو التجربة الذي تسبق النجاح أمين يا رب العالمين

# تشكرات:

أتقدم بالشكر الوافر إلى لأستاذ المشرف الدكتور عمر جفال الذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته الحكيمة طيلة مشوارنا الدراسي

كما أتقدم بالشكر الخالص إلى القائمين على مكتبة الزاوية التجاتيـــة بعين ماضي الذين لم يدخروا أي جهد في مرافقتنا لإنجاز هذا العمل المتواضع ولا يفوتني في هذا الصدد بشكري للجنة المناقشة التي تكبدت عناء التنقل

وتنقيح وتمحيص هذا العمل الأكاديمي

لكم مني فائق الاحترام والتقدير

غزال قدور

# المقدمة

لقد تعرضت بلدان شمال إفريقيا إلى الظاهرة الاستعمارية وعلى رأسهم الجزائر وتونس وهذا الاستعمار أملته معطيات الزمان وتفاعله مع المكان وغذته الأطماع الاستعمارية وهذا الاستعمار لم يكن بطريقة اعتباطية وإنما كان لمجموعة من الظروف والأسباب على اثر اتفاقيات دولية بين الدول الأوربية حددت وكل دولة من الدول الأوربية أطماعها وأهدافها فاحتلت الجزائر وتونس من طرف فرنسا الأولى سنة 1830 والثانية فرضت عليها الحماية سنة 1881 ولكن موضوع الدراسة يتطرق حول مقارنة بين الاحتلال الفرنسي للجزائر وفرض الحماية على تونس فإذا تكلمنا عن المقارنة بين معاهدتين مختلفتين في الظروف والتداعيات والآليات والسياسة الاستعمارية التي استعملتهم فرنسا اتجاه هذين البلدين وتطرقنا في هذه الدراسة المتواضعة إلى العديد من المحاور بما فيها الأوضاع كل البلدين قبيل الاستعمار في كل الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية في كلا البلدين وكذلك أسباب الاحتلال الفرنسي للبلدين وأخير مقارنة بين معاهدة الاستسلام ومعاهدة باردو في البنود والمواد والخلفيات ومدى تعهد فرنسا ببنود المعاهدتين

1 / **أسباب اختيار الموضوع** :

ان اختيارنا لهذا الموضوع لم يكن اعتباطيا ولكن لمجموعة من العوامل منها ما هو ذاتي ومنها ما هو موضوعي :

- هذا الموضوع يشمل في موضوعه بلدين شقيقين تجمعهم قواسم مشتركة منها التاريخ والدين والجغرافيا

**2/ أهمية الموضوع:** لإزالة اللثام حول أوجه التباين وأوجه الاختلاف بين معاهدتين فرضتهما فرنسا الكولونيالية لبسط نفوذها على البلدين أو القطرين . كما تكمن أهمية هذا الموضوع لأنه أول تجربة استعمارية لنظام الحماية في تونس والتعرف على التداعيات والمبررات التي اتخذتها فرنسا لتبرير مشروعها الاستعماري في القطرين

3/ **تحدي الإشكالية:** تتمحور إشكالية موضوعنا حول دراسة مقارنة بين معاهدتين فرضتهما فرنسا الاستعمارية على الجزائر وتونس وتبرير استعمارها والوسائل التي استعملتها من أجل بسط نفوذها على البلدين ومنها نطرح الإشكالية التالية:

ما هي أوجه التباين الاختلاف بتين معاهدة واستسلام الداي حسين وبين معاهدة باردوا في تونس وللإجابة على هذه الإشكالية وضعنا جملة من التساؤلات الفرعية التالية:

كيف كانت أوضاع الجزائر وتونس قبل الاحتلال وفرض الحماية الفرنسية على تونس؟

وما هي الذرائع والحجج والمبررات التي استعملتها فرنسا نفوذها على البلدين؟

ما هي أوجه الاختلاف والتشابه بين معاهدة استسلام الداي حسين ومعاهدة باردو؟

4/ **حدود الدراسة** : اخترنا الفترة الزمنية الممتدة من سنة 1830 إلى غاية 1881 لأنها الفترة التي تم فيها احتلال الجزائر والفرض الحماية على تونس

5/ **المنهج المتبع:** إن طبيعة الموضوع هي التي تحدد المنهج العلمي الذي ستماشى معه ولقد استعملنا المنهج التاريخي الوصفي الذي يعتمد على سرد الوقائع والأحداث ووصفها وترتيبها زمنيا حسب تسلسلها التاريخي

المنهج المقارن اذي اعتدنا عليه في المقارنة وهو عنون البحث

المنهج التحليلي من خلال تحليل الأسباب والدوافع التي استعملتها فرنسا للاحتلال البلدين.

**6/ خطة الدارسة:** لقد رسمنا خطة تشكلت من مقدمة وأربع فصول وخاتمة بإضافة على الملاحق والفهارس

**الفصل الأول:** تكلمنا على أوضاع الجزائر وتونس قبل الاستعمار وفرض الحماية الفرنسية

**الفصل الثاني:** ضمناه دوافع وأسباب احتلال القطرين

**الفصل الثالث** : وهو لب الموضوع هو دراسة مقارنة بين معاهدة الاستسلام ومعاهدة باردو

والخاتمة هي ما استخلصتاه من هذه الدراسة في طبيعة احتلال البلدين والمبررات التي استعملتها فرنسا في احتلال البلدين

**7/ المصادر والمراجع المعتمدة:** لتحرير هذا البحث اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع التي ساهمت بشكل وبأخر في إثراء هذه الدراسة ولعل أهمها كتاب المرآة لحمدان عمان خوجة ، ومذكرات حمد الشريف الزهار كتاب وليام شالر وكتاب علي المحجوبي وهو مرجع قيم وكذلك كتاب لحبيب ثامر كل هاته المصادر والراجع كان لها دور كبير في إثراء هذا الموضوع

**8/الصعوبات:** إن أي بحث علمي لا يخلو من الصعوبات فطريق العلمي شاق ولهذا وجب على أن يكزن صبورا جلودا ولعل من أهم هذه الصعوبات صعوبة الموضوع الذي لم يطرق بطريقة متخصصة يعني موضوع جديد بالإضافة إلى الصعوبة التي تلقناها في الفصل الأخير وهي المقارنة بين المعاهدتين التي لم نجد المادة العلمية الكافية لإنجازها بالإضافة إلى الانشغالات المهنية والعائلية.

# الفصل الأول

**المبحث الأول: أوضاع الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي**

**المبحث الثاني: أوضاع تونس قبل فرض الحماية الفرنسية**

**المبحث الأول :أوضاع الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي :**

**أولا : الوضع السياسي :**

نعني بالوضع السياسي الوضع الداخلي الذي كانت عليه الجزائر سواء من ناحية السلطة ومدى الفساد والفوضى والاضطراب الذي وصلت إليه والذي لم تكن الكثير من مظاهره جديدة ولكنها استشرت في الفترة الأخيرة كشراء المناصب مثلا والتنافس عليها وعدم الاستقرار أو من ناحية الرعية التي ضاقت ذرعا بممارسات هاته ا

سلطة والتي كانت تجرد المحلات لجمع الضرائب والنهب خاصة مع شح موارد الجهاد البحري وهو ما أدى إلى قيام الكثير من الثورات الشعبية والتي لم تقتصر على أواخر العهد العثماني فقط ولكن أخطرها نشب في مطلع القرن التاسع عشر والتي يرى الكثير من المؤرخين أنها بدعم خارجي في إشارة إلى سلاطين المغرب [1].

لكن الإقرار بهذا السبب كعامل يبرئ الأتراك من هذه الثورات التي كانت زعاماتها دينية صوفية وهي الزعامات التي عملت السلطة على التحالف معها في بداية الأمر لتوسيطها لدى السكان لجمع الضرائب ومنحت كذلك عدة امتيازات كالإعفاء الضريبي ولكنها سلبت هذه الضرائب ولكن قبل ذلك لنلقي نظرة على مدى ما وصل إليه نظام الحكم نفسه كما سنعرج على دور اليهود المرتبط بالفساد الحكام في إضعاف الايالة [2].

**1/ الاضطراب والفوضى وفساد نظام الحكم:**

قد يتساءل الكثير هل الجزائر لم تعرف الاستقرار في نظامها الحاكم طيلة العهد العثماني وذلك ما تشير إليه اغلب المصادر سواء الغربية منها أو العربية وكذلك الدراسات الحديثة وان كان بعضها يخص الفترة الأخيرة من الحكم العثماني يرى البعض إنها تميزت بعدم الاستقرار في جهاز الحكم وكثرة الاضطرابات التي عمها الظلم الاجتماعي والاستبداد السياسي وتتجلى هذه

[1] حمدان عثمان حوجة ،المراة تق وتع وتح ،محمد العربي الزبيري ش و ،ن ،ت الجزائر ،1975 ص 154

[2] وليام شالر ،مذكرات قنصل امريكا في الجزائر ،1816 /1824 تع وتع ،تق اسماعيل العربي ، ش و ن ت الجزائر 1982 ص 45

الاضطرابات في كثرة تعاقب الحكام الذين تميز جلهم بالضعف وعدم الكفاءة إلا إن الملاحظ إن الكثير من مظاهر فساد الحكم العثماني لا يقتصر على الفترة الأخيرة كالصراع على السلطة وشراء المناصب وكثرة الانتفاضات داخل الجيش والصراع على السلطة ويرجع ذلك إلى إن الكثير من الهيئات لم تكن تؤدي وظيفتها إذ يرى حمدان خوجة مثلا أن الأتراك ارتكبوا خطئا فادحا عندما تركوا السلطة المطلقة بين أيدي البشوات مما جرد الديوان من كل قوة وسلطان ولعل ارتباط الحكم بشخص واحد الحاكم وحده وهو الذي يجعلنا نقول إن الحكم كان استبداديا وعنيفا لأنه كان مرتبط بمصالح يحققها الحاكم لنفسه سواء على مستوى المركزي او الإقليمي خاصة أن منصب الحاكم كان يشترى بالمال ولابد لمن اشتراه من تحقيق مكاسب مقابل ذلك [1]

كما كان قسم هام وفعال من السكان الأندلسيين ينظر إليهم على أنهم المنقضون ولذلك تمكنوا من بسط نفوذهم بل وأزرهم السكان أيضا في إفشال بعض الانتفاضات كانتفاضة ابن القاضي مثلا وشاركوهم بكل قوة في صد الهجمات والتحرشات الأجنبية بدؤا يواجهون ثورات عارمة من السكان ذلك أنهم أرادوا الحد من نفوذ أصحاب الطرق الصوفية والزوايا ومعاداتهم وكان معنى ذلك بكل بساطة معاداة قسم كبير من السكان خاصة في الأرياف والذين كانوا يرتبطون بهذه الطرق [2].

ولا شك إن التعقيد والفوضى اللتان تميز يهما التاريخ السياسي للجزائر في العهد العثماني كانتا ستقودان إلى انهيار حتمي فالداي كان يعيش حياة ترقب مهددا إما بالانقلاب أو القتل من طرف الانكشارية أو الرياس فاغلب الدايات الجزائر في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني وصل والى منصبهم بفضل انقلاب الانكشارية المطالبين بزيادة الأجور ولا شك إن ذلك أدى إلى كثرة تعاقب هؤلاء الحكام وبالتالي إلى انعدام الاستقرار وهو ما سيؤثر على جميع جوانب الحياة خاصة الاقتصادية منها وإذا كان هذا الجهاز المركزي فان المناصب إقليميا أصبحت أيضا تباع وتشترى

[1] حمدان عثمان خوجة المصدر السابق ،ص 154
[2] ناصر الدين سعيدوني موظفو الدولة ،الجزائر في القرن التاسع عشر م و،ف،م ،الجزائر ص 14

دون مراعاة لعنصر الكفاءة أو دراية في تسيير الدولة إذا لم يكن على الذي يريد أن يصبح بايا إلا إن يتوجه لأقارب الباشا ويمدهم بالأموال ولعل هذه الممارسات هي التي أدت إلى أن يتولى منصب الداي بعض ممن كانوا يمارسون مهنا لم تكن تؤهلهم لتوليه كالفحامين والاسكافيين ومثال ذلك علي الغسال الذي قيل انه كان يشتغل بغسل الموتى.

إن هذه المظاهر من الحياة السياسية التي طبعت الحكم العثماني في الجزائر خاصة في فترة الأخيرة وانغلاق الحكام الأتراك على أنفسهم داخليا وخارجيا إذا لم يراعوا الظروف الدولية التي كانت في تغيير مستمر على جميع الأصعدة جعلهم يفقدون ثقة الأهالي فقلت ثقة الأهالي في الحكام والمسؤولين الذين أهملوا مصالح البلاد وأفقروا العباد وانصبت انشغالاتهم بالركض وراء السلطة وبالنظر إلى كل ما سبق ذكره يظهر جليا إن المجتمع الجزائري في الفترة العثمانية كان طبقيا على رأسه الحكام والأتراك الذين أزاحوا حتى أبنائهم من الحكم [1].

وفي قاعدته أغلبية الشعب الذي أحس بالظلم والقهر خاصة في أواخر هذه الفترة التي تميزت بعدم الكفاءة والذي لم إمامه سوى التمرد والثورة التي قادها في الغالب من فقدوا امتيازاتهم بسبب محاولات الحد من نفوذهم ونقصد بهم رجال الطرق الصوفية وهو ما أدى إلى القطيعة بين هؤلاء والأهالي المؤيدين للأتراك وهو وجه أخر من أوجه الأزمة التي كانت تعيشها الجزائر في أواخر العهد العثماني سياسيا وهو ما سنتعرض إليه في العنصر الموالي من هذا البحث ولكن تجدر الإشارة إلى إن الفترة العثمانية ليست كلها سوداء كما يتصور بعض لتبرير الاستعمار الفرنسي للجزائر[2].

ولا يمكن الرد على هؤلاء إلا بعبارة ذات دلالة عميقة وهي قول حمدان عثمان خوجة "اللهم ظلم الأتراك ولا عدل الفرنسيين " وهنا نحن لسنا بصدد تقييم الفترة العثمانية في الجزائر بقدر ما نحن هنا لتقييم فترات ضعفها التي أدت إلى بوضع القابلية للاستعمار حسب مصطلح مالك بن نبي كما أن الصورة ليست معاكسة تماما للمشهد الذي يريد ترسيخه الفريق الأول.

[1] شويتام ارزقي ،نهاية الحكم العثماني ،في الجزائر وعوامل انهياره،1800 /1830 د،م، ج الاسكندرية 1988 ص 15
[2] عبدالجليل التميمي ، بحوث ووثائق في تاريخ المغرب العربي 1816 /1871 ط1 ،تونس 1972 ، ص 238

**2/الثورات الشعبية التهديد الداخلي :**

أردنا من خلال طرح هذه المسالة لاستكمال الصورة التي كان عليها الوضع الداخلي من الفساد الذي طبع الحكم العثماني وبالتالي المظالم التي وقعت منه على الرعية الى محاولات رفع هذا الظلم والثورة عليه وبالتالي يمكن ان نسميه التهديد الداخلي للحكم طيلة الوجود العثماني أولهما بالشرق الجزائري وهي ثورة الشريف بن الأحرش والثانية في الغرب والأخيرة ثورة التجاني بالجنوب والملاحظ ان هذه الثورات كانت من أصحاب وزعماء الطرق الصوفية وكثرت حولها الآراء حول أسباب قيامها ومدى ارتباطها بايالة تونس إن للدرقاوة ارتباط وثيق بالمملكة المغربية [1] التي كانت وراء التحريض على قيام هاته الثورة والوقوف وراءها ولكن قبل التطرق إلى هذه الثورات كنماذج لابد لنا من ملاحظة إن الفترة العثمانية لم تخلو من الثورات بل إن الأمر لم يستتب للعثمانيين بالجزائر إلا بعد إخماد العديد منها كحركة ابن القاضي وسالم التومي وذلك رغم التحالف الذي تمليه ضد التهديد الخارجي المسيحي وكذلك التحالف المصلحي بين القبائل المخزنية والسلطة لقمع بعض هذه الثورات داخليا وبطبيعة الحال فان دوافع هاته الثورات لا تعدو أن تكون سياسية واقتصادية.

إن تسلط الأتراك واستفرادهم بالحكم نتج عنه مظالم كبيرة أوقعت الأتراك في صراع حتى مع أبنائهم الكراغلة وكذلك بمحاولة الحد من نفوذ شيوخ القبائل او بتحريك من أطماع خارجية بسبب سياسة الأتراك التي أنهكت كاهل السكان بالضرائب ومن هذه الثورات مثلا ثورة سويد نواحي الشلف وثورة بن الصخري بالشرق الجزائري وثورة النمامشة وثورات الاوراس وسوف. [2]

**أ/ ثورة الشريف بن الاحرش:**

إن تزعم بن الاحرش لهذه الثورة التي عمت شرق البلاد لم يكن ممكن اولا تجمع العديد من الظروف والأسباب منها الوضع العام للرعية وكذلك التحريض والدعم الخارجي الذي لقيه من ياي تونس وقبل ذلك الشهرة التي اكتسبها فهو كما تذكر بعض المصادر من عرب المغرب الأقصى رحل من بلاده للحج ولما غرى نابليون الأول مصر جمع بن الاحرش جيشا من أعراب المغربيين وانظم إلى الجنود المصريين لقتال نابليون وأ بلى في تلك الجروب بلاء حسننا ورجع بن الأحرش إلى

[1] شالر المصدر السابق ،ص 127

[2] احمد الشريف الزهار ،مذكرات نقيب الجزائر ، 1754 /1836 ، تح ونشر احمد توفيق المدني ، ش و ن ت الجزائر ،ص 21.

المغرب وحل بتونس ولقيه جمودة باشا وحرضه على ان ينتزع الجزائر من الأتراك وهاجم قسنطينة في غياب حاكمها الباي عثمان إلا أن هذه الثورة وضع لها حد من طرف باي قسنطينة الجديد بعد عام من المطاردة والتحق محركها بالدرقاويين في الغرب الجزائري إلى إن قتل من طرف بعض أصحابه ولا شك ان عواقب هذه الثورة اهتزاز صورة الحكام الأتراك وهو ما يفسر توالي الثورات فيما بعد.

**ب/ثورة محمد التيجاني** :التجأ محمد بن احمد المختار وهو من عين ماضي قرب الاغواط مع والده وشقيقه إلى المغرب الأقصى ولما توفي والده عام 1815 عاد الى الوطن وقد كان لجوءه ربما بسبب تضييق الحكام الأتراك على أصحاب الطرق الصوفية والزوايا للحد من نفوذهم بعد الثورة التي قام بها الدرقاوة ولذلك فان راجوعه ارهب حكومة الجزائر خوفا من خروجه عليها لان والده صاحب طريقة صوفية فبعث الحسن باشا إلى حاكم قسنطينة للقبض عليه إلا أن محمد التيجاني نجى بنفسه وتمكن من الرجوع إلى عين ماضي سالما[1] .

توالت حملات الأتراك على محمد التيجاني الذي قام بتحريض القبائل في الجنوب الوهراني ضد بايلك الغرب فقد كاتب بني عامر وبني شقران والبرجية الغرابة والزمالة والدوائر وكذلك النواحي الشرقية للوقوف معه إلا أن هذه القبائل امتنعت عن إتباعه ولكن بعض القبائل اتبعته ومنها قبائل الحشم كما يذكر محمد بن الأمير فلما اتم استعداداته خرج معهم نحو معسكر فواجه حسن باي حاكم وهران في معركة قرب غريس ويذكر الزياني إن الباي أغدق العطاء لأعيان الحشم وكافة العرب فتفرقوا عنه وتصدى الباي لقوات التيجاني وقتل هذا الأخير ويمكن القول ان المغرب ساند الطريقة التيجانية . [2]

لقد سارعت هده الثورات وما هذه إلا نماذج في تسارع انهيار الحكم التركي في الجزائر كما ان ممارسات هذا الحكم هي التي أدت إلى اشتعال هذه الثورات والتي كان الأتراك يواجهونها بقمع بدل

[1] جمال قنان .نصوص ووثائق تاريخ الجزائر .الحديث 1830/1500 المؤسسة الجزائرية للطباعة , الجزائر 1987 ص 131.
[2] المرجع نفسه .ص 132.

تغيير سياستها نحوهم ان الجزائر لم تواجه هذا التهديد فقط والمنذرة بالانهيار التدريجي بل واجهت تهديدا داخليا وخارجيا هو الأخر إلا إن عناصره الفاعلة دخيلة ويعد اخطر كل هذه الثورات لأنه احد مبرراتها كما أدى إلى إضعاف موقف الايالة.

**ج/ اليهود وإضعاف الجزائر:**

لقد كان لليهود دورا فعالا في إضعاف الايالة وعملوا على خلق الذرائع للتدخل الفرنسي في الجزائر كما أن اليهود استغلوا الظرفية المكانية والزمانية لبسط نفذهم المالي والسياسي بعد ان استعملوا كل الوسائل لكسب ود حكامها من الهدايا والمساعدات المالية الى التجسس في الداخل والخارج وأصبح لهم نفوذ موزع بين بكري تجاريا وبوشناق سياسيا والذي أصبح يؤثر في تعيين كبار الموظفين فالداي مصطفى قيل انه كان كناسا ورفعه اليهود إلى درجة داي بل أصبح بكري وبوشناق يتوسطان بين الجزائر وبعض الدول في المساعي السياسية والدبلوماسية إن اخطر مسالة ترتبت على احتكار هؤلاء اليهود للتجارة والتصدير والاستيراد هي ما أصبح يعرف بقضية الديون إذ أقرضت الحكومة الجزائرية فرنسا عام 1796 بدون فوائد لشراء الحبوب وقد وسطت فرنسا بكري وبوشناق اللذين تحصلا على أهم امتياز في الجزائر عام 1794 هو حق شراء وبيع الحبوب من الجزائر ليقوما بدفع ثمن بدلها إلى الحكومة الجزائرية وضمن ما أسميناه بالانهيار الممنهج فان التاجران قدما تسهيلات في الدفع حين احتاجت فرنسا لتموين الحملة على مصر ولكن توتر العلاقات بسبب الحملة حال دون ذلك وقد نصت معاهدة 1801 بين البلدين على ضرورة تسديد فرنسا لديونها إلا أنها لم تلتزم وتماطلت في القضية [1] .

تعقدت قضية الديون وأدت إلى عدة مراسلات بين حكومة الجزائر والحكومة الفرنسية وأدت الاحتكارات والنفوذ اليهودية إلى رد فعل شعبي عنيف تمثل في مقتل بوشناق من طرف احد الانكشارية ولعل العبارة التي ذكرها الجندي عند قتله تحية إليك يا ملك الجزائر وقد استقبل مقتل التاجر بارتياح باعتباره مسؤول عن القحط والمجاعة فقد قام بتصدير الحبوب بكميات كبيرة أضرت

[1] جون وولف الجزائر واوربا .تر : سعد الله م وك .1986 ص 447 .

باحتياطي الجزائر ولم يتوقف الأمر عند مقتل بوشناق حيث اتسع النطاق لكي يشمل الحي اليهودي وقتل عدد من اليهود وهو ما أدى إلى موجة قمع وادي ذلك إلى هجرات الكثير من العائلات اليهودية إلى تونس وأثيرت قضية الديون من جديد في عهد الداي حسين الذي راسل الحكومة الفرنسية بشأن الديون من جديد ولكنها تماطلت وتعمدت بواسطة بوسة القنصل دوفال وكانت أسطورة المروحة الشهيرة ومنها الحصار في شهر جوان 1827 فهل كان ذلك الرد الفرنسي على ضربة المروحة بالطبع لم ذلك إلا ذريعة استعملها الفرنسيين من اجل احتلال الجزائر بالإضافة انه ليس من المؤكد وقوع الحادثة فان غضب الداي كان مبررا فهو يعتبر نفسه قد خدع في قضية مالية في حين قررت الحكومة تصفية الدين المترتب عليها بعد عشرون سنة وكهذا ساهم اليهود في إضعاف الايالة وتحطيمها اقتصاديا وسياسيا وكانوا سبب في الاختلاف بين فرنسا والجزائر [1].

إن الضعف الذي وصلت إليه الايالة وحالة الفوضى والاضطراب أطمعت الكثير من الدول في التحرش بها لمخططات استعمارية أو الانتقام مما كان يفرضه عليهم الأسطول الجزائري أيام قوته فتعددت الحملات والتي لم تشمل أواخر العهد العثماني فقط بل أنها تفاقمت بعد ضعف الأسطول رغم ظهور قادة عظام كالرايس حميدو وانشغال أوربا بحروب نابليون مما أدى إلى انتعاش جزئي للأسطول [2].

[1] المصدر نفسه .ص 434.

[2] شارل روبير اجيرون .تاريخ الجزائر المعاصرة تر:عيسى عصفور منشورات عويدات ط1 دار النهضة العربية بيروت ص 90.

**3/ :الوضع العسكري والتحرش الأجنبي :**

**أ/ الوضع العسكري:**

ونقصد به الوضع العسكري الداخلي وخاصة البحرية ومدى ما وصلت إليه من تدهور وقد ربطناها بالتحرش الأجنبي لما لها من علاقة وقد تبين من العنوان مدى الضعف لأنه لولا ذلك لما تفاقمت التحرشات غير إن الجزائر شهدت حملات بحرية عليها في الفترات التي لم تكن بحريتها ضعيفة ولقد اشرنا سابقا إلى الانتعاش الذي عرفته البحرية في بداية القرن التاسع عشر بسبب انشغال أوربا بين 1815/1805 بالحروب النابليونية وظهور شخصية الرايس حميدو إلا إن العوامل ساهمت في القضاء على الأسطول وكذلك إضعاف الجانب العسكري نحاول إيجازها في النقاط التالية :

الانغلاق العثماني والتقدم التقني الأوربي الذي مكن من تطوير الأساطيل الأوربية ومن ثمة مواجهة الأسطول الجزائري .[1]

- تدهور صناعة السفن في الجزائر بسبب احتكار اليهود لتجارة الخشب واستغلالهم للغابات بين بجاية والقالة.
- نقص مداخيل البحر الجهاد البحري مما أدى إلى الضغط على الموارد الداخلية وادي إلى فوضى واضطرابات سياسية واقتصادية نتجت عنها المجاعات والأوضاع الصحية المتردية التحالف الأوربي ضد القوى الإسلامية بالمتوسط بدعوى محاربة الرق والقرصنة وقد تمكنت الدول الأوربية من محاصرة الدول الإسلامية اثر قرارات مؤتمر فيينا واكس لا شابيل.
- تعرض الأسطول الجزائري لضربات وانكسارات اثر الحملات الأوربية على الجزائر كالحملة الأمريكية والحملة الانجليزية والضربة القاضية التي تلقاها في معركة نافرين وكان يحارب إلى جانب الأسطول العثماني ضد أساطيل الحلف الثلاثي حيث تحطمت جل قطعه.

[1] حمدان عثمان حوجة المصر السابق ص85.

– تحول الجهاد البحري عن أهدافه من نجدة المسلمين إلى طلب المغانم والمكاسب والربح المادي وفساد الجيش الانكشاري الذي تحدث عنه حمدان خوجة في كتابه المراءاة .التناقص المستمر في عدد الجيش ومن أسباب ذلك تردي الوضع الصحي وانتشار الإمراض والأوبئة[1]

**3/التحرشات الأجنبية والتهديد الخارجي:**

**ا/تونس والمغرب :**

إن التهديدات الخارجية الجدية هي تلك التي كانت من قبل الدول الأوربية الناهضة والمتنافسة استعماريا والمتربصة بالجزائر إضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية وقد أعطى مؤتمر فيينا ثم مؤتمر اكس لاشابيل كل تلك القوى مبررات الهجوم على الجزائر لذلك فإننا بالنسبة لتونس والمغرب سنكتفي بالإشارة إلى نزاعاتهما مع الجزائر في هذه الفترة والتي لم تكن في مستوى التهديدات الأوربية كما أنها تلاشت تدريجيا[2] .

خضعت تونس إلى الحكم العثماني بعد الجزائر والتي لعبت دورا في خضوع تونس إلى الدولة العثمانية لذلك فان الصراع بينهما يعود إلى التنافس بين حكام تلك البلاد إما بالنسبة للمغرب فمن الواضح أن التنافس لم يكن المحرك الوحيد للصراع بل الإطماع المغربية في الغرب الجزائري سواء في العهد السعدي أو العلوي كما كانت من أسبابه أيضا إبعاد الأتراك عن بلادهم كما انهمك انو يرون أنهم الأولى بالحكم .

كان ثقل الصراع بين تونس والجزائر يتركز بحكم موقع الإقليم على بايات الشرق وكثير ما انتهى الصراع إلى دحر بايات تونس وادي ذلك أحيانا حتى الى فرض حكومات موالية للجزائر كتنصيب علي باشا على تونس بمساعدة حسن باي قسنطينة أو فرض إتاوات مقابل المساعدة على افتكاك الحكم على تونس أما المغرب فقد تكررت محاولات الهجوم على الجزائر ولم تتوقف عند الحدود الغربية ونذكر هنا محاولات مولاي إسماعيل وهزيمته على يد الداي شعبان وانهزامه كذلك إمام الداي مصطفى باشا[3].

**ب/الدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية:**

[2] الزبيري المرجع السابق .ص 130.
[3] وليام شالر المصدر السابق .ص 56.

**التنافس الاستعماري الفرنسي البريطاني:**

تعد الحملات الأوربية الأكثر خطرا وتهديدا على مستقبل الايالة وكانت كلها بدافع الانتقام او بتفويض من المؤتمرات الأوربية لإطلاق الأسرى بالإضافة إلى التنافس بين الدول الاستعمارية الأوربية لإطلاق الأسرى ووقف القرصنة بالإضافة إلى التنافس بين الدول بين بريطانيا وفرنسا فالعلاقات بين الجزائر وفرنسا كانت عادية قبل حملة نا بليون بونا بارت على مصرالتي استغلها الانجليز لصالحهم في العمل عن طريق الباب العالي على توتر العلاقات بين الجزائر وفرنسا وهو ما حصل في النهاية تحت تأثير الرأي العام والحاح السلطان العثماني حيث أعلن الداي مصطفى الحرب ضد فرنسا ورغم ذلك استقبل القنصل الفرنسي ديبوا تافيل .[1] واتفق معه في 18 جويلية 1800على ضرورة ابرام الصلح وقد رد الانجليز على ذلك ببرقية عبر فيها الأميرال الانجليزي كيث عن اندهاشه من استقبال الحكومة الجزائرية لممثل دولة هي اكبر عدو للمسلمين وطالب بطرده إلا انه ورغم المساعي البريطانية تم إبرام معاهدة سلم بين البلدين فرنسا والجزائر وعندما توترت العلاقات البريطانية الجزائرية بسبب طرد القنصل الانجليزي فالكون من الجزائر وطلبت استبداله وهددت بريطانيا بإرسال حملة بقيادة الأميرال نيلسون لقصف المدينة ثم تراجعت حاول تانفيل استغلال التوتر والوصول به إلى حالة الانفجار بدون جدوى لان الجزائر حصرت الأزمة في إطارها الثنائي وأم تسمح لأية جهة باستغلالها لخدمة مصالحها . بعد نقض صلح أميان عقد سنة1802 بين فرنسا وبريطانيا وتجدد الحروب بين الدول الأوربية وانهزام الأسطول الفرنسي في معركة الطرف الأغر عام 1805 استغلت الجزائر الوضع لمراجعة الامتيازات من جانبها المالي خاصة وذلك برفع الإتاوات وابلغ احمد باشا في شهر ديسمبر 1806 القنصل تانفيل إن الانجليز يعرضون مبلغ أربعون إلف قرش اسباني للحصول على حق استغلال الامتيازات الإفريقية وانه سيمنحها للفرنسيين [2] إن هم دفعوا مبلغا اكبر ولكن الوضع ولكن الوضع الذي أصبحت عليه فرنسا وخاصة تجربتها بعد انهزامها المتتالية وتكبدها خسائر كبيرة منذ الحملة على مصر وحتى عام 1805 اثر وضعها المالي والتجاري ولم تكن مستعدة لدفع مثل هذا المبلغ ولذلك منحت حكومة الجزائر امتيازات الإفريقية للانجليز وسحبتها من الفرنسيين دون انتظار ردهم وكان ذلكفي 2 جانفي 1807 فمن بين ما جاء إن المدن إفريقيا مثل تونس

[1] وليام سبنسر الجزائر في عهد رياس البحر .ترجمة : عبد القادر زيادية ش .و ن ت الجزائر .ص 45
[2] المصدر نفسه .ص 49.

والجزائر تحتل من طرف الفرنسيين ومع هذا فان فرنسا استرجعت حق استغلال الامتيازات سنة 1817 بعد تغير الوضع فيها وعودة الملكية لال البور بون إلى الحكم بعد الحملة الانجليزية الهولندية على الجزائر وحرق الأسطول غدرا لان الأسطول بقيادة الأميرال الانجليزي اكسموث كان يحمل الراية البيضاء راية المفاوضين ولذلك سمح له بالدخول للميناء حيث بلغت السلطات الجزائرية القنصل وسحب الالتزام من الانجليز وفاوض دوفال لمدة طويلة حتى تم التوصل الى اتفاق في 26 مارس 1817 وقد وقفت فرنسا محايدة إثناء الحملة الانجليزية على الجزائر حيث أوصت قنصلها دوفال بعدم التدخل أبلغته بتوجيه الحملة على الجزائر وكان ذلك في صالحها في إطار الصراع بينهما وبين بريطانيا والذي اضعف الجزائر وادخلها دائرة الصراع بينها وبين قوتين متنافستين تبادلا الهجوم عليها فان كان الانجليز قد وجهوا ضدها حملة 1816.[1] ثم حملة أخرى سنة 1824 فان الفرنسيين يتوانو بعد ذلك في حصارها بين 1827 1830 بعد نضوج فكرة الحملة على الجزائر وسنعرض لنماذج من هذه الحملات والتحرشات حسب تسلسلها التاريخي بدا بحملة الولايات المتحدة الأمريكية ثم الحملة الانجليزية الهولندبة فالحملة الانجليزية سنة 1824.

## 1/ الحملة الأمريكية 1815:

توقفت الولايات المتحدة الأمريكية عن دفع الضريبة السنوية التي ضلت تدفعها الجزائر منذ سنة 1795 حتى سنة 1810وكان ذلك نتيجة منطقية لإدراك الولايات المتحدة الأمريكية ما وصلت إليه الايالة من ضعف [2] لذلك قرر الكونغرس الأمريكي إعلان الحرب على الجزائر خاصة بعد أن أبرمت معاهدة سلم مع بريطانيا سنة 1814 حيث جهزت فرقتان بحريتان واصدم الأسطول الأمريكي بسفينة أمريكية واستسلمت بعد مقتل قائدها الرايس حميدو وذكر الزهار أنهم أسرو سفينة أخرى وأرسلتا مع الأسرى إلى قرطا جنة وعقدت معاهدة بين الطرفين وتم من خلالها إلغاء الضريبة على السفن الأمريكية [3].

[1] ارزقي شويتام المرجع السابق .ص 75.
[2] المرجع نفسه .ص 78.
[3] المرجع نفسه . ص 79.

## 2/ الحملة الانجليزية 1816:

اشتهرت الحملة على أنها الحملة الانجليزية أو حملة اللورد اكسماوث ذلك انها انطلقت من انجلترا مجهزة خصيصا لضرب الجزائر وكانت فرنسا على علم بالحملة وقد أبرقت لقنصلها دوفال بعدم ايداء الرأي والتدخل كما أسلفنا وذلك في إطار التنافس والصراع البريطاني الفرنسي وذلك لتستعيد امتيازاتها بعد أن تكون بريطانيا فقدت امتيازاتها بسبب الهجوم وكان ذلك لموقفها المحايد هذا إلا أن الحملة لم تكن انجليزية فقط فقد تلقت الدعم من وحدات هولندية رغم الضعف الذي وصلت إليه الجزائر كما ذكرنا إلا أن بسبب الحروب النابليونية ولكن ما ان حسمت هذه المعضلة حتى التفتت هذه الدول نحو الجزائر وبمبررات ومصوغات قانونية في نظرها وبتفويض من مؤ تمرات أوربية بدعوى محاربة الاسترقاق والقرصنة كمؤتمر فيينا ومؤتمر اكس لا شابيل وقد شجعها على ذلك إنباء انهزام أسطول الجزائر إمام الولايات المتحدة الأمريكية وقد تعهدت بريطانيا التي ما زالت تحتفظ بحق استغلال الامتيازات منذ1806 بعد تخلي فرنسا بتنفيذ القرار بشرط وضع الجزر الأيونية تحت تصرفها وإمام نفس السنة وجهت هولند حملة نحو الجزائر لتحذو حذوا أمريكا وإمام هذه العمليات عمل الداي عمر على تحصين المدينة وتعزيز دفاعها بعد الحملة الأمريكية وقد انتهت الحملة الانجليزية الأولى بعد تهديدات اكسماوث بتدمير المدينة بإعطاء مهلة كما طلبها الداي لمدة ستة أشهر لمشاورة الباب العالي إلى أن هذه الحملة لم ترضي الأوربيين ولا الانجليز أنفسهم كانت الحملة الثانية في شهر أوت 1816 وقد انطلقت الجملة من انجلترا وانظم أيها الأسطول الهولندي في جبل طارق [1] وقد ترتبت على هذه الحملة خسائر فادحة تعتبر قاصمة الظهر بالنسبة للأسطول الجزائري ولا يمكن هنا إرجاع السبب الى الخديعة البريطانية رفع العلم الأبيض بدعوى التفاوض بل أن السبب الأهم هو سماح السلطات الجزائرية الداي بتموقع القطع البريطانية الهولندية في انتظار الرد على الإنذار مما مكن الأسطول المهاجم من ضرب الميناء والتحصينات وقد أدى الهجوم إلى مقتل أكثر من 1500 مدني زيادة على تحطيم الأسطول والرافعات والإضرار الكبيرة الأخرى [2].

انتهت حملة اللورد اكسماوث بعد خضوع السلطات الجزائر لشروط ومنها إطلاق سراح الأسرى المسيحيين وإعادة مبلغ 350 إلف دولار لملك نابولي وسردينيا دفعت من قبل كفدية وإبطال

[1] ارزقي شويتام المرجع السابق ص 80
[2] المرجع نفسه ص 84

الاسترقاق وقد كان لنجاح هاته الحملة صدى كبير في أوربا حيث تذكر بعض المصادر إن اكسماواث تلقى التهنئة من الدول الأوربية وهو ما يظهر الروح الصليبية لهذه الحملة .

**4/ الحملة الانجليزية عام 1824:**

اتخذت بريطانيا من مؤتمر فيينا 1815 سندا لمهاجمة الجزائر في حملتها على الجزائر عام 1816 وفي هذه المرة أخذت تفويضا من الدول الأوربية المجتمعة في مؤتمر اكس لاشابيل وهي الاتصال بدول شمال إفريقيا وإنذارها بوجوب العمل بنظام القرصنة وإلا فان إجراءات حاسمة ستتخذ ضدها وقد رفضت الجزائر الامتثال لقررات المؤتمر وراتان من حقها تفتيش السفن الأجنبية وفي عام 1823 فرضت الرقابة على الهيئات الأجنبية في الجزائر وقد احتجت بريطانيا على ما أسمته إعمال الحكومة حيث عمدت الجزائر على إخراج الثائرين الذين لجا والى القنصلية البريطانية والايطالية بالقوة بعد رفض قنصلي البلدين تسليمهم واعتبرت الجزائر ذلك تدخلا في الشؤون الداخلية وتدخلت بريطانيا بار سال سفينة للتفاوض مع الجزائر وفرض شروط جديدة فرفضتها الجزائر ففرضت بريطانيا حصارا على السفن الجزائرية واشتبكت مع أحداهما وقد قاومت كما يذكر شالر ببسالة ثم قامت بريطانيا بإرسال أسطول حربي الذي فرض حصار على الجزائر حتى يوقع الداي على تصريح مذل.

ولم يتمكن الانجليز من السيطرة على المدينة أو إحراز نصر كما حدث سنة 1816 لكن عملهم هذا خاصة الحصار الذي دام ستة أشهر اضعف حركة التجارة ووحد من إمكانيات ما بقى من الأسطول الجزائري إلا انه وهذا هو الأخطر كان ينذر ولعله يبشر بنمط جديد من الصراع بين الجزائر والدول الأوربية وهو التذرع ثم فرض الحصار البحري وهو ما فعلته فرنسا بعد اقل من ثلاث سنوات حيث تذرعت بحادثة المروحة وقضية الديون وضربت حصار بحريا على الجزائر دام ثلاث

سنوات 1827 1830بعد أن رفضت الجزائر إشكال الاعتذار المذل الذي طلبته الحكومة الفرنسية .[1]

وهكذا إذا نلاحظ ومن خلال ما تقدم أن كل شكل أو مظهر من مظاهر الضعف والفساد كان يؤدي إلى ضعف وفساد أكثر ففساد الحكم والحكام وممارستهم الاستبدادية وانغلاقهم بل وعنصريتهم غير المعلنة وضعف مردود الجهاد البحري أدى بهم إلى فرض الضرائب بل وتشريع النهب وهو ما أدى إلى الانتفاضات والثورات التي قادها أما شيوخ القبائل حوصر نفوذهم أو شيوخ الطرق الصوفية ضجرو من تضييق السلطان عليهم كما افتقد بعض الامتيازات التي كانت لهم أيام كانت مداخيل البحر أدت هذه الثورات إلى مزيد من القمع وضعف الجبهة الداخلية كما أدت إلى تدهور الحالة الاقتصادية والاجتماعية حيث عمت الأوبئة والإمراض بل والمجاعات وما زادها تفاقما فساد ذمة بعض الحكام إلى درجة جعلتهم من اجل المال يوقفون التجارة في أهم المجالات على اليهود الذين زادو من تفاقم الوضع وتردي الحالة العامة للشعب الجزائري [2].

لقد احتكر اليهود تجارة القمح والخشب وتسبب في الكثير من الفتن التي أدت ببعضها إلى مقتل الحاكم نفسه كما حصل سنة 1805 مع الداي مصطفى إلا إن الفتنة الكبرى التي تسببوا فيها هي ما يعرف بأزمة الديون أو مسالة الديون فان كان الضعف قد فتح على الجزائر باب التحرشات والتنافس الأجنبي وبالتالي حفزها لمحاولة النهوض وتعزيز دفاعاتها كما فعل الداي عمر فان مسالة الديون فتحت عليها باب جهنم إن الذريعتان الأساسيتان لفرنسا لفرض الحصار البحري على الجزائر ومنه التخطيط وتنفيذ الحملة سنة 1830 مع عدم التسليم طبعا كما توحي بعض الدراسات باقتصار الأمر على هذه الأسباب ذلك أن الحملة والاحتلال كان مخططا لهما منذ فترة طويلة وعن سابق إنذار وترصد للفرصة السانحة فقط وقد أهدى اليهود عائلتا بكري وبوشتاق ومن الأهم هذه الفرصة لفرنسا لاحتلالها ومنه نقول إن الظرفية الزمانية والمكانية التي مرت بها الجزائر هي التي جعلتها

[1] جبيب ثامر: هذه الجزائر تونس .مطبعة الرسالة ، القاهرة ، 1948.ص 22.
[2] المرجع نفسه . ص 25.

عرضة للاحتلال الفرنسي وهذا هو تحصيل حاصل نظرا للظروف التي عاشتها الجزائر في أواخر الحكم العثماني في كل المجالات سواء السياسية او الاقتصادية او الاجتماعية ومن جهة أخرى التحالفات التي إقامتها الدول الأوربية ويتجلى مظاهراها في الكثير من المؤتمرات والحملات العسكرية التي شنتها الدول الأوربية على الجزائر والتي أنهكت قواها وأضعفتها.

## 2/المبحث الثاني: أوضاع تونس قبل فرض الحماية:

### ا/الأوضاع في عهد حسين باي الثاني 1824 /1835 :

لقد شهدت تونس العديد من الإحداث والوقائع حيث كان يحكم تونس الأسرة الحسينية التي تأسست على يد حسين ابن علي مع العلم انه ورغم تبعية الباب العالي إلا انه كان مستقلا فهو يجمع بين السلطات التنفيذية والسلطة التشريعية وبإمكانه النظر في مختلف القضايا العدلية وتعتبر كل القرارات والمراسيم التي تصدر عنه قانونا نافذا ولكن السلطة الفعلية كانت قبيل الحماية بين يدي الوزير الأكبر الذي يباشر تسيير الشؤون المالية والخارجية للايالة يساعده في الإدارة العامة للبلاد وزير للداخلية إلى جانب وزير الحرب [1].

فقد كان الوزير الأكبر ووزير البحرية مكلفان بحراسة الباي لقد تقلد الباي حسين الحكم من سنة 1824 1835 وقام بمعاهدة مع الفرنسيين بمساعدتها في حملتها على الجزائر وذلك بإرسال بعض مواد التموين وقد تأكد موقف الباي المتحيز للفرنسيين حيث أسرع لتهنئة المارشال بورمون بانتصاره على جيرانه الجزائريين ويبدو انه كان متلهفا لتهنئة الفرنسيين فوصل الوفد التونسي قبل ان يتم المارشال بورمون انتصاره بالإضافة إلى حماية السفن الأجنبية في سواحل تونس وكذلك تعهدت تونس بإلغاء الرق وحرية التجارة بين التونسيين والأوربيين دون تدخل الحكومة بفرض أي احتكار ويمكن التساؤل عن أسباب التي دعت الباي اى اتخاذ هذا الموقف المعادي لمصلحة العالم الإسلامي

[1] صلاح العقاد ،المغرب العربي الحديث والمعاصر الجزائر تونس المغرب الأقصى ،ط1مكتبة الانجلو المصرية ،مصر 1993ص 161.

عامة وشمال إفريقيا خاصة فهل يعود ذلك إلى الحقد الباي حسين على دايات الجزائر لأنهم فرضوا على تونس دفع الجزية [1].

## ب/الأوضاع في عهد احمد باي 1837 /1855

احمد باي حكم البلاد من 1855/1837وعلى خلاف سلفه كان يعتقد إن تأكيد شخصيته يتمثل في إضعاف حالة التبعية للأستانة حيث عرف الفرنسيون هذه النزعة في نفسية الباي فآخذو يراضون كبريائه فيقدم قنصلهم أوراق اعتماده له مباشرة بينما كانت الدول الأوربية الأخرى وخاصة بريطانيا تعتبر قنصليتها بتونس تابعة لسفارتها بالاستعانة واتضح لأحمد باي الفرق فعاملة الانجليز والفرنسيين له حيث قرر زيارة أوربا سنة 1846 فقد استقبله الملك فيليب في باريس بنفس مظاهر الحفاوة التي يستقبل فيها الملوك المستقلون أما الحكومة البريطانية فقد اشترطت قبل زيارته أن يقدمه السفير باعتبار انه تابع للسيادة العثمانية العليا ولذلك عدل الباي عن زيارة انجلترا [2].

ومن مظاهر سياسة تعاون احمد باي وفرنسا هي السماح بإنشاء كتدرالية لمواجهة مدينة تونس أي في المكان الذي قيل بان لويس مات فيه ،إثناء الحروب الصليبية والاهم من ذلك قرر الباي إدخال مظاهر الحضارة الحديثة في تونس فمهد إليهم بإنشاء المدارس وتدريب الجيش بيدا إن احمد باي مثل الكثير من أقرانه الحكام لم يعرف كيف يستفيد من اقتباس المدينة الأوربية فكان اهتمامه بتغيير مكسبه حيث أقام مصنعا للذخيرة ولكن الجيش لم يستفد من المدربين الأوربيين الذين استقدمهم للتدريب على وسائل الحرب الحديثة وليس معنى ذلك أن احمد باي ،قطع صلته باسطنبول فعندما وقعت حرب القرم أسهم ب 14 ألف جندي تونسي ليحاربوا تحت لواء الجيوش العثمانية ،ولكن يجب ملاحظة إن فرنسا كانت حليف للباب العالي في هذه الحرب وعليه فان إسهام تونس بهذا العدد قد حمل ميزانيتها عبئا ثقيلا بين الأعباء الكبيرة الأخرى التي ترتبت على سياسة التجديد وإذا كان احمد

[1] المرجع نفسه ص 162.
[2] فرحان الخفاجي ،السياسة الفرنسية حيال تونس 1881 1914 مجلة الأستاذ جامعة بغداد 2015 ،ص 253.

باي قد استطاع إن يتم هذه الإعمال دون الاستدانة من الخارج فانه اضطر إلى زيادة الضرائب إلى حد أرهق معه السكان إرهاقا شديدا [1].

## ج/الأوضاع في عهد محمد باي 1855 1859 :

محمد باي تذرع بان التجديد يكلف الميزانية نفقات باهضة ولكن لم يستطع توفير شيء يذكر لان حرمه الذيكان يضم 1200 امرأة والقصور الفاخرة التي اهتم بتشييدها كانت سببا أخر في الإسراف ولم يكن متوقعا من محمد باي أن يكون صلبا إمام ضغوط الدول الأوربية فمثل هذا الرجل المنهمك في ملذاته لا يمكن أن يكون من أنصار الحرية الدستورية ومع ذلك صدر في عهده شبه دستور عرف بعهد الأمان فلاشك إن الباي قد فعل ذلك استجابة لرغبة القناصل الأوربيين والمناسبة التي أحاطت بإصدار العهد تدل على هذه الحقيقة فقد حدث ان سب احد اليهود مسلما في دينه فحكم عليه بالإعدام فانزعجت الجالية الأوربية من هذا الحكم ووصفوه بالتعصب وطالبوا بان تكون لهم ضمانات شخصية فكان إن اصدر القانون الأساسي في سبتمبر 1857 وقد صيغ على نمط خط كالخانة فهة يتعلق بضمان حريات الإفراد الأساسية .[2]

### قانون عهد الأمان 1857:

قتل جندي من جنود الايالة يهوديا كان تاجرا اخذ سلعته وصل الأمر إلى الباي بشهادة يهوديا اسمه باطو وهو تاجر أيضا شتم مسلما وسب دينه وبعد التأكد من الأمر نفذ فيه الأخر الحكم بالإعدام فلما بلغ الأمر إلى يهود فرنسا استنكروا الأمر مما أدى إلى إرسال الأسطول الفرنسي به سبع مائة مدفع نحو الايالة التونسية للنظر في هذه القضية ومنه كان سبب إصدار محمد باي قانون عهد الأمان

[1] المرجع نفسه ،ص 254.
[2] فرحان الخفاجي المرجع السابق ص25

**د/الأوضاع في عهد محمد الصادق 1859 1882:**

وافق محمد الصادق على مبدأ قيام شبه دستور لتنظيم الحكم فصدرت وثيقة دستورية أكثر تفصيلا سنة 1861 والتي تنص على المواد الثلاث التالية:

**المادة الأولى:** تنص على الحريات الشخصية فتعلن المساواة أمام القانون والإدارة والضرائب دون تمييز بين الأجناس والأديان إما المادة الثانية : تنص على شروط الخدمة الوطنية إما بخصوص المادة الثالثة فتنص على إنشاء مجلس استشاري للشؤون الإدارية يشترك فيه التونسيين والجالية الأجنبية ولكنه لا يبين كيفية تكوين هذا المجلس ولذلك أخطا المؤرخين حين قرروا بان الدستور 1861يقيم مجلسا نيابيا وينص على المسؤولية الوزارية وقد خصصت المواد 9،10 لتأكيد حقوق الأجانب كالنص على حرية التجارة وعدم احتكار الدولة التونسية لاي نوع من الأنواع منها حرية العقارات والأراضي داخل الأراضي التونسية إن الملابسات التي أحاطت بالدستور تدل أيضا على إرضاء الأجانب كان هو الدافع الأول للباي فقد كان يعلم الإمبراطور نابليون الثالث يهتم بنشر الحضارة الأوربية وظواهرها في العالم الإسلامي ورأى في إصدار الدستور فرصة يجوزها إعجاب الإمبراطور الثالث ولذلك حرص الباي على تقديم مشروع الدستور لنابليون الثالث [1] إثناء زيارته للجزائر فلما حصل على موافقته أعلن الباي وسط احتفالات باهرة الدستور التونسي في 28 افريل 1861.

عاشت تونس منذ عام 1815 وحتى فرض الحماية الفرنسية عليها عام 1881 من ظروف سياسية واقتصادية داخلية وخارجية قادت إلى تدخلات أجنبية فرنسية وخاصة سياسيا واقتصاديا في اثر سيطرتها على مدينة الجزائر منذ عام 1830 وتوسيع نفوذها محاولة بذلك القضاء على المقاومات

[1] نابليون الثالث 1878/1808 . هو نا بايون بونا بارت كان امبراطو فرنسا من 1853 1870 وتقلد منصب رئيس الجمهورية الثالثة عام 1848 ينظر شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة مج2 ص 12.

الشعبية المسلحة التي قامت ضدها متطلعة لاحتلال تونس [1] ومنذ بداية القرن التاسع عشر ازداد نشاط الجاليات الأجنبية في تونس وشرع البايات في استقدام الخبراء الأجانب ومنحهم عدد من الامتيازات مثل توسيع ميناء تونس وإنشاء السكك الحديدية وإقامة خطوط التليغراف وهو ما دفع القناصل الفرنسيين على التدخل لحماية مصالحهم والتأثير في البلاط والاستدانة واخذ القروض من أوربا وتحديدا من فرنسا ولكن الثورة باءت بالفشل وتم سجن بن غداهم حتى توفي وأمام تدهور الأوضاع الاقتصادية وخاصة المالية وتأثير الضغط الدولي سلمت الدولة مصلحة الجمارك الأجانب نظير ما اقترضته من أموال فتشكلت عام 1869 لجنة مراقبة مالية دولية برئاسة خير الدين [2].

وبدورها حولت تلك اللجنة مجموع الديون إلى دين موحد قد بنحو مائة وعشرون مليون فرنك فرنسي فأصبح من الصعب على تونس أن تدفع لفرنسا ستة ملايين فرنك سنويا من مجموع ثلاث عشر مليون التي هي إيرادات الحكومة التونسية وبذلك أضحت تونس مسخرة لدفع فوائد الدين الأجنبي وأصبحت تلك الجنة ميدانا للتنافي بين بريطانيا وفرنسا مما أدى بفرنسا الى وضع يدها على تونس .

تزامنت المطامع الفرنسية في الأراضي التونسية مع انعقاد مؤتمر برلين الثاني عام 1878 الذي فتح الباب لاحتلالها إذ تدخلت بريطانيا عن إطماعها في تونس مقابل اعتراف فرنسا بسيطرتها على جزيرة قبرص وقد صرح بذلك وزير الخارجية بريطانيا لنظيره الفرنسي على هامش انعقاد المؤتمر بقوله انه لا يعارض فرنسا إذا أرادت الاستيلاء على تونس وفي الوقت نفسه شجع مستشار الإمبراطورية الألمانية المقترح البريطاني هادفا بذلك منح تعويضات لفرنسا بهدف صرف أنظارها عن فكرة الأخذ بالثار لحرب سيدان ومن جهتها فان ايطاليا ما كانت لتتخلى عن إطماعها في احتلال تونس إلا أنها لم تتلقى دعما فعليا حقيقيا اذ عارضت بريطانيا تدخلها في تونس لأنهم تمكنهم من مراقبة الساحل الجنوب الغربي من البحر الأبيض المتوسط وتمكنهم من قطع الطريق الهند خاصة بعد فتح قناة السويس عام 1869 وعلى الرغم من تأييد ألمانيا لفرنسا لاحتلال تونس إلا إن الرأي

[1] محمد الهادي الشريف .تاريخ تونس .تونس 1993.ص 81.

[2] محمدعلي داهش . دراسات في الحركة الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي دمشق ,2004 .ص 41.

العام الفرنسي وعدد كبير من السياسيين الفرنسيين واعتبروا تأييد بسمارك للتدخل الفرنسي في الشؤون التونسية مناورة كان القصد منها تعكير العلاقات الفرنسية مع ايطاليا وعزل فرنسا على الصعيد الأوربي [1] إلا أن فرنسا وافقت على مقررات برلين لان ذلك سيؤدي إلى إعادة التوازن في منطقة البلقان والمضايق بشرق أوربا ويمكنها من الحصول على موارد جديدة وثروة لنشاطها الاستعماري وتحقيق تطلعاتها الاستعمارية في شمال إفريقيا منذ احتلال الجزائر .

اتخذت فرنسا من انتقال عدد من القبائل العربية التونسية بني خمير شمال غرب تونس عبر الحدود الجزائرية في جانفي 1881 ذريعة للغزو بحجة مساندتها للثوار الجزائريين وقام الفرنسيين بتحريض الجالية الفرنسية داخل تونس على رفع العريضة إلى الحكومة الفرنسية التمست فيها التدخل فرنسا السريع لضمان حقوق الرعايا الفرنسيين وأموالهم وعليه عبرت قوات الفرنسية 1881 من دون سابق إنذار الحدود الجزائرية التونسية بقيادة الجنرال جون ايمي بريار وكان تعدادها حوالي ثلاثون الف جندي.

احتلت فرنسا مدينتي الكاف وطبرقة وقد واجهت تلك القوات صعوبات في تقدمها بسبب المقاومة العربية وسوء الطرقات بعدها نزلت قوات بحرية في ميناء بنزرت شمال تونس وبعد احتلالها تقدمت القوات الفرنسية نحو العاصمة [2] .

وفي هذه الأيام قام الباي محمد الصادق بجهوده في الاحتجاج لدى الدول الموقعة على معاهدة برلين وطلب منها التدخل لوقف الاحتلال في الوقت نفسه كلف الباي أخاه بقيادة الجيش لصد القوات الفرنسية إلا انه لم يستطع صدها ولا منعها من التقدم حيث تأكد الباي بان الدولة العثمانية ستفي بوعودها بإرسال أسطول بحري إلى تونس إلا أن أماله باءت بالفشل والإخفاق فقد وصلت القوات الفرنسية في 11 ماي 1881 الى مقر الباي في قصر سعيد وفي 12ماي 1881 توجه الجنرال بريار برفقة القنصل الفرنسي في تونس تيودور روستان لمقابلة الباي

[1] محمد الهادي شريف .المرجع السابق ص97.

[2] إحسان حقي : تونس العربية . دار الثقافة بيروت . لبنان . 1970 .ص123.

وقدم نسختين من معاهدة فرنسية تونسية مجهزة مسبقا وأمهله مدة خمسة ساعات لقبولها أو رفضها وبعد ساعتين وتحديدا في الساعة الثامنة مساءا وقع الباي معاهدة باردو[1].

لقد تضمنت المعاهدة عشرة شروط اهم ما جاء فيها ان التواجد المؤقت للقوات الفرنسية وتركزها في مناطق الحدود والساحل ورحيلها عندما تصبح الإدارة التونسية قادرة على حفظ النظام وفي الوقت نفسه لا يحق للباي عقد معاهدة مع أي دولة أجنبية إلا بموافقة فرنسا ومقابل ذلك تتعهد فرنسا بحماية الباي وأسرته والجدير بالذكر أن معاهدة باردو لم تذكر في نصها كلمة حماية بل نصت المعاهدة على أنها معاهدة ود وصداقة لكن فرنسا ذكرت أن وجودها ليس احتلالا بل حماية ولكن حقيقة الأمر أنها اعتدت على السيادة التونسية داخليا وخارجيا [2] .

كان انفتاح البلاد للمنتجات والأفكار والتجار وأصحاب المال الأوربيين فقد نتجت عنه صعوبات مالية لم تستطع الدولة تحملها فزاد الحكام من إثقال كاهل الرعايا بالضرائب وكانوا تحت رحمة الكوارث الطبيعية والاضطرابات النقدية والفوضى السياسية التي حلت بالبلاد فاتسعت الهوة بين الأسرة الحاكمة وأهالي البلاد فاضطر البايات للاستنجاد بالمماليك لتسيير المصالح الإدارية حيث أن البلاد دخلت في ثورات بعد فترة من الهدوء علما أن ثورة علي بن غداهم أشعلت البلاد وجعلتها تقف ضد الباي ضد السياسة الجنائية والإصلاحية وفشلت الثورة فأسهم القمع الذي صحبها في زيادة قسم لا باس به من البلاد خاصة منطقة الساحل وعقب هذه الأزمة السياسية مواسم فلاحية سيئة ثم المجاعة والكوليرا سنة 1867 .

[1] علي سلطان . تاريخ العرب الحديث . 1516 / 1918 منشورات مكتبة طرابلس العالمية طرابلس د ت ص 553.
[2] محمد الهادي الشريف المرجع السابق .ص 98

# الفصل الثاني

**المبحث الأول: أسباب ودوافع الاحتلال الفرنسي للجزائر**

**المبحث الثاني: أسباب ودوافع فرض الحماية الفرنسية على تونس**

**المبحث الأول : دوافع الحملة الفرنسية على الجزائر:**

إن العلاقات بين الجزائر وفرنسا ترجع إلى أواخر القرن الثاني عشر بمعاهدة بجاية حسبما ذكر المؤرخ الأمريكي سبنسر ثم معاهدة خير الدين وسليمان القانوني وفرنسوا الأول سنة 1534م حسبما ذكر دوفو ومرت هذه العلاقات بفترات من الاستقرار وأخرى من التوتر لكنها ومنذ بداية القرن التاسع عشر شهدت التوتر خاصة في عهد نابليون الذي قام بتحويل المؤسسات الشعبية إلى مؤسسات استبدادية على المستوى الداخلي [1] .

واتبع نابليون السياسة التوسعية الغازية في الخارج لكن الجزائر وقفت بالمرصاد في مواجهة التحركات النابليونية المشبوهة في منطقة المغرب واستعدت لمواجهة كل الاحتمالات غي انه في سنة 1800م نجح نابليون في عدة اتفاقيات هدنة مع المغرب ووقع قنصله ديبوا تانفيل هدنة مع داي الجزائر يوم 19 جويلية من نفس السنة ثم وقعا معاهدة صلح يوم 30 سبتمبر من نفس السنة كذلك وكذلك تلاها توقيع معاهدتي صلح مع كل من تونس وطرابلس ولكن وبطلب من الباب العالي وانجلترا أعلنت الجزائر الحرب على فرنسا من جديد وقادتها تونس وطرابلس لنفس السبب دون استعمال وسائل عنف ضد الرعايا والقناصل الفرنسيين[2].

وفي يوم 17ديسمبر عام1801م عرفت العلاقات بين الجزائر وفرنسا اتفاقا جديدا استعادت الحكومة الفرنسية امتيازاتها التجارية في شرق البلاد وقد تنازلت الحكومة الجزائرية لفرنسا عن حقها في الضرائب السنوية لمدة عام كامل وذلك بسبب فداحة الخسائر التي لحقت هذه الاتفاقية عن الجزائر: الداي مصطفى باشا وعن فرنسا ديبوا تانفيل وقد نصت هذه الاتفاقية على مجموعة من البنود من بينها :

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم : شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830 دار الامة 2007 الجزائر .ص 256.

[2] جمال قنان :دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر المؤسسة الوطنية للنشر والاشهار رويبة الجزائر .1994.ص92.

**المادة التاسعة:** يخضع الفرنسيين المقيمين منهم مملكة الجزائر والعابرون للسلطة الكاملة لوكيل او ممثل الحكومة الفرنسية وليس للدولة الجزائرية ولا لمندوبها الحق في ان تتدخل في شؤون الإدارة الداخلية الفرنسية بترابها أي الجزائر .

**المادة الثالثة عشر:** يتعهد الداي بدفع الديون الفرنسية المستحقة على رعاياه كما يتعهد المواطن ديبوا تانفيل بتسديد مبالغ للرعايا الجزائريين على الحكومة الفرنسية ولكن الصلح لم يدم طويلا لان الداي مصطفى باشا اخذ يلح على فرنسا أن تسلم له ديونه التي في ذمتها فحدثت فجوة بين البلدين وتلتها فيما بعد اشتباكات متبادلة بين سفن الطرفين في جويلية 1802 أرسل نا بليون الضابط هو لان إلى الجزائر وحمله إنذار إلى الداي بان يوقف اعتداءاته على العلم الفرنسي في المتوسط او انه سيقود حملة ضده بنفسه ثم في يوم 16 سبتمبر من نفس العام وجه إلى الداي رسالة أخرى شديدة اللهجة يهدده فيها فيقول : ان فرنسا نا بليون غير فرنسا البوربون وما لبثت العلاقات إن توترت بعد احتجاز البحارة الجزائريين سفينتين فرنسيتين وضرب أخرى في ميناء تونس فعاود التهديد الداي وطالبه بتعويض الخسائر ومعاقبة المسؤولين عن الحوادث في عهد الداي احمد الذي خلف الداي مصطفى [1].

وصل نابليون إلى الجزائر عام 1805 على رأس قطعة من الأسطول الفرنسي الحربي ليطالب الحكومة الجزائرية بإطلاق سراح 231 من المسيحيين الأسرى الايطاليين لكن الباشا أصر على حقه في الفدية ودفع نا بليون 80000 فرنكا إلى الحكومة الجزائرية غداة عودة البوربون إلى عرش فرنسا استقبلت الجزائر بارتياح انفتاح لويس الثمن عشر نحوها ورغبته في إعادة الوئام والصداقة التقليدية التي كانت قائمة بين البلدين منذ وقت طويل [2].

إن هذا الوفاق لم يدم طويلا فمنذ بداية العشرينيات بدأت السياسة الفرنسية تسلك نفس الطريق الذي اتبعه نابليون في السعي إلى التوسع وقهر الشعوب ولكن بأسلوب أكثر مرونة

[1] محمد زروال : العلاقات الفرنسية الجزائرية .1791 1830 الجزائر . ص 59.
[2] محمد زروال المرجع السابق ص 60.

واقل خطورة عليها وقد استغلت فرنسا الظروف الصعبة التي كانت الجزائر تجتازها في هذه الفترة والتي تميزت بأزمة داخلية متعددة الجوانب وضغط أوربي مستمر خاصة منذ انتهاء إعمال مؤتمر فيينا ورغم توافق الآراء حول أسباب احتلال الجزائر مثل حادثة المروحة بين الداي وقنصل فرنسا وقضية الديون إلا أن الحقيقة هي أكثر عمقا من ذلك إذا أن رغبة فرنسا في احتلال الجزائر ضاربة في التاريخ.

ولما فشلت فرنسا من تحقيق غاياتها المرجوة بالوسائل والطرق التي اتبعتها قررت رفع حالة التوتر والتزام إلى مستوى القطيعة بإعلان الحرب ضدها وفرض الحصار البحري على شواطئها ثم أن ما حصل بعد ذلك على المستوى الدولي والمشاكل التي تسببت في توتر العلاقات بين الجزائر وفرنسا كما ساهمت مجموع النوايا والأسباب المتعددة في تنفيذ الحملة الفرنسية واهم أسبابها هي :

**1/ الأسباب السياسية والعسكرية :**

إن المكانة التي كسبتها الجزائر في الفترة العثمانية جعلتها محل إطماع الدول الأوربية وحكامها أن عملها في البحر المتوسط زاد من رغبة هؤلاء في التحالف ضدها والقضاء عليها وذلك من خلال مؤتمر فيينا والذي انعقد من اجل مشاكل القارة الأوربية ولكنه لم يمنع من دراسة المشكلة التي يسببها الأسطول البحري الجزائري والقرصنة البحرية وقضية الأسرى الأوربيين بالجزائر[1].

[1] عبد الجليل التميمي . بحوث ووثائق ط2 الجزائر 1985 ص 62.

2 / **التعاون البريطاني الهولندي ضد الجزائر:** التعاون البريطاني الهولندي ضد الجزائر الذي قامت به في حملة اللورد اكسموث في أوت 1816 قبل عمر باشا بشروط الصلح المفروضة .

**3/ مؤتمر اكس لاشابيل 1818:** بالرغم إن محوره كان حول مسالة جلاء الجيوش الأجنبية عن فرنسا فان هذا لم يمنع الدول الأوربية من جديد من إن تذكر الخطر الذي تشكله الجزائر ولذلك سعت في البحث عن الذرائع التي تنفذ بها مؤامراتها فاختلقت معركة نافرين [1] من اجل تنفيذ ومنه اختفاء معظم وحدات الأسطول الجزائري والتي ذهبت لنجدة الدولة العثمانية وتحطمت بها سنة 1827 وفي هذه الظروف افتعل القنصل الفرنسي دوفال حادثة المروحة والتي اعتبرتها فرنسا اهانة إلى كرامتها .

سارعت فرنسا إلى الحصار والتجهيز للحملة تطلع فرنسا إلى تعويض ما فقدته من مستعمرات في أمريكا الشمالية والهند وغرب إفريقيا ضد بريطانيا وبعض الأراضي في أوربا بعد حرب السبع نابليون لسعي حكومة شارل العاشر الرجعية إلى الهاء الرأي العام الفرنسي عن مشاكل فرنسا الداخلية بقضية خارجية وتحقيق نصر سياسي على المعارضة الليبيرالية وإبعاد الضباط المشكوك في ولائهم لذلك سعت إلى توتير العلاقات مع الحكومة الجزائرية لتقدم على عمل قد يتيح لها مبررا للعدوان .

**الأسباب الاقتصادية:**

لقد كان للأسباب الاقتصادية دورا في احتلال فرنسا للجزائر حيث إن الملك شارل العاشر ورجال الإعمال الفرنسيين والتجار اليهود كان لهم ضلوع في ذلك حيث استغلت فرنسا امتيازاتها بالجزائر والتي تعود إلى سنة 1578 وأرادت أن تجعلها من خصوصياتها كما كانت تريد التخلص من الضريبة السنوية التي كانت تدفعها للحكومة الجزائرية كما كان لديون بكري وبوشناق الدور الأكبر في توتر العلاقات الفرنسية الجزائرية وما تبعه من تطورات في حين فر كليهما ولم يزعجهما أن يتركا الجزائر في أزمة حادة وتتخلص فرنسا من تلك الديون إن تطلع فرنسا إلى

[1] المرجع نفسه ص 65.

ثروات الجزائر الزراعية والمعدنية وأسواقها التجارية خاصة بعد انطلاق ثورتها الصناعية حوالي عام 1825 وهو العام الذي دفعت فيه بريطانيا الخطر الذي كانت تفرضه على تصدير الآلات الجديدة إلى الخارج مما سمح لفرنسا بالاستفادة منها وذلك ما ورد في تقرير وزير الحربية الفرنسي الجنرال كليرمون إلى شارل العاشر[1].

ورأت فرنسا إن تستولي على مناجم الحديد والرصاص والملح والبارود والى جانب الثروات توجد كنوز مكدسة في قصر الداي والتي تفوق قيمتها 150 مليون فرنك فرنسي وفي تصريح وزير الحرب الفرنسي الجنرال جيرارد فور نزول القوات الفرنسية بالجزائر ان احتلال هدا الاحتلال يستند إلى ضروريات هامة ويرمي إلى فتح منفذ واسع لتصريف بضائعنا مع فرنسا ووضع يدها على خزائن القصبة والتي لم تكن تقل على ما قيمته100 مليون فرنك من الذهب كما كان لرجال الإعمال الفرنسيين والتجار اليهود ضلوع في ذلك حيث استغلت فرنسا امتيازاتها بالجزائر والتي تعود إلى 1578 وأرادت ان تجعلها من خصوصياتها كما كانت تريد التخلص من الضريبة السنوية التي كانت تدفعها كما كان لديون بكري وبوشناق الدور الأكبر في توتر العلاقات الفرنسية الجزائرية وما تبعه من تطورات وعندما طالب الداي من القنصل الفرنسي دوفال بوجوب الدفع أثاره القنصل الفرنسي [2] فأخرجه الداي من مجلسه الخاص بغضب شديد ولوح أمامه بالمروحة كانت بيده لامست وجهه ولهذا فكان التخلص من تسديد الديون المتبقية عاملان من عوامل العدوان الفرنسي على الجزائر ذلك أن مالية الدولة منخفضة بسبب الأزمة المالية فارتفع مبلغ الديون وعرفت الميزانية عجزا يقدر بعشرات الملايين .

**الأسباب الدينية:**

تعود جذور الصراع الديني بين المسيحيين والمسلمين إلى الحروب الصليبية والحقد الأوربي المسيحي على المسلمين واستمرار التعصب الديني في نفوس الساسة التوربين كان عاملا كافيا

[1] احمد توفيق المدني : كتاب الجزائر . المؤسسة الوطنية للكتاب . الجزائر .1992ص 42.
[2] المرجع نفسه ص 54.

للحقد ضد الجزائر والرغبة في القضاء عليها لأنها كانت تتزعم الجناح الإسلامي في شمال إفريقيا وفي المقابل تزعمت فرنسا الجناح الكاثوليكي خاصة أسرة البوربون ذات النزعة الدينية ولهذا كان الهاجس الفرنسي هو الثار للملك الفرنسي لويس التاسع عشر الذي هلك أثناء قيادته حملة صليبية الثامنة على تونس عام 1270 إحياء المسيحية في إفريقيا كما كانت بزعمهم أيام القديس أوغسطين وذلك ما تطفح به تصريحات وتقارير قادة فرنسا السياسيين والدينيين عشية الغزو الفرنسي على الجزائر [1].

لقد كانت فرنسا الاستعمارية تتصير الشعب الجزائري وحسب ما جاء في تصريح الملك شارل العاشر في خطاب العرش في 2 مارس 1830 أن العمل الذي سأقوم به ترضية للشرف الفرنسي سيكون بمساعدة العلي القدير لفائدة المسيحية كلها وتصريحه إمام مجلس وزرائه بعد نجاح الحملة بقوله يجب أن يكون هناك حسن التدبير في العمل على تنصير العرب [2]وما قاله الجنرال بورمون في خطبة صلاة أقيمت بالقصبة بعد احتلالها في جموع الجيش ورجال الدين المرافقين للحملة قائلا : لقد فتحتم معنا باب المسحية في إفريقيا ونتمنى أن يعيد ذلك بعث الحضارة التي انطفأت ويعترف الفرنسيين بما قام به الجيش حينما دخل مدينة الجزائر فالجنرال لا مور سيير المعروف بتدينه يقول حللنا بمدينة الجزائر فاتخذنا من المدارس مخازن وثكنات واصطبلات واستحوذنا على أملاك المساجد والمدارس وكنا نعتقد أننا سنعلم الشعب العربي مبادئ الثورة الفرنسية ولكن مع الأسف إن المسلمين راو في ذلك ضربة للدين والعقيدة و.قد أراد شارل العاشر ان يربط سبب الحملة بحادث بعيد تمثل في الحروب الصليبية التي قام بإحداها لويس التاسع عشر دفين مدينة قرطا ج بتونس[3].

[1] ابو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية سنة 1830الى 1900 ج1 ،دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان ،1992ص 35.
[2] المرجع نفسه ،ص 45.
[3] بشير بلاح ، المرجع السابق ص33.

لقد اتفق مع باي تونس على بناء كنيسة تقام على ضريح الملك لويس التاسع عشر تخليدا لهذا الملك المقدس ولأعماله وقد أراد شارل العاشر بهذا العمل ان يبرهن للشعب الفرنسي على مدى اهتمامه بالبحث المسيحي والحضاري بإفريقيا وبقرار اسري تمت معاهدة بين الباي وفرنسا التي مثلها القنصل أي بعد احتلال الجزائر مباشرة ونصت المعاهدة على أن يعطي حسين ياي ملك فرنسا قطعة ارض بقرطاجة يخلد فيها القديس لويس التاسع عشر ويمكن أن تعتبر المعاهدة فاتحة عهد جديد في بعث الكنيسة الإفريقية [1].

**السبب المباشر للحملة :**

حادثة المروحة : في سنة 1827 وبمناسبة حلول العيد الفطر حضر كالعادة القناصل الأجانب ومن بينهم قنصل فرنسا دوفال لتهنئة الداي ودار الحديث بين الداي والقنصل عما إذا كانت قد وصلت من حكومته تعليمات بسان النقاط التي تفاوض عليها واتهم الداي حسين القنصل الفرنسي بأنه كان السبب في عدم وصول الرد إليه مباشرة وبدل أن يحاول دوفال إعطاء الجواب بلباقة وتبرير ذلك بأي شيء أجاب ليس من العادة ان يجاوب الملك من هو دونه بدون واسطة ففهم الباشا من ذلك إن مراد القنصل إن الملك لا يعتني بمجاوبته مثله فاشتد غضبه ولطم القنصل على وجهه بمروحة كانت بيده ثم طلب منه أن يغادر البلاد فورا وإلا سوف يتخذ إجراءات أخرى فانصرف القنصل الفرنسي إلى منزله حيث اجتمع ببقية القناصل الأوربيين وكلف قنصل سردينيا بالإعمال الفرنسية بالجزائر وفي اليوم نفسه ظهرت في ميناء الجزائر سفينة فرنسية كما لو انه على موعد بها فأخذته وأتباعه [2].

وتم نقلهم إلى فرنسا وقد فسرت الحادثة كلعنة للشخص ولشرف فرنسا وقد كانت ادعاءات القنصل الفرنسي دوفال في تقريره الى الحكومة الفرنسية بأنه ضرب ثلاث مرات وقد ردت

[1] سعد الله المرجع السابق ،ص 83.

[2] المرجع نفسه،ص 110.

عليها فرنسا بإرسال قطعة من أسطولها إلى الجزائر بقيادة القبطان كولي وقد وصلت هذه القطعة التي حملت اسم لا برفانس إلى ميناء الجزائر في يوم 12 جوان 1827 حيث طلب قائدها من الباشا القدوم شخصيا للاعتذار إلى القنصل ولما كان معروفا إن الباشا لن يرضى بذلك فقد تضمنت تعليمات كولي اقتراحات وهي :

1 أن يذهب الداي إلى مقر القنصلية الفرنسية في زيارة رسمية ويقدم اعتذار للقنصل الفرنسي رسميا.

2/ أو يستقبل القنصل الفرنسي ببلاطه في حفل رسمي ويقدم لها الاعتذار.

3/ آو يرسل وفدا رسميا برئاسة وزير بحريته داخل البحر ليقدم الاعتذار في كل هذه الحالات يحب رفع العلم الفرنسي فوق حصون المدينة وإطلاق المدافع مائة طلقة تحية ل[1].

4/ وعندئذ يعلن القنصل قبول الملك الفرنسي الاعتذار يبقى مع هذا الموضوع الشكاوي الفرنسية المتكررة يرسل دوفال مذكرة مفصلة بشأنها إلى الداي مرفقة برسالة تهديد من كولي بضرورة حلها وتقديم ترضية كافية عنها من خلال مطالب منها :دفع تعويضات ومعاقبة الجزائريين والمسؤوليين عن الاضرارالتي لحقت بالمنشات العسكرية وحق تسليحها وإعلان الجزائر انه لا حق لها في ديون بكري كما تتضمن التعليمات انه في حالة عدم الاستجابة لواحد من الاقتراحات المذكورة فانه سيعلن الحصار رسميا على الجزائر لقد قام الضابط كولي بتقديم هذه المطالب إلى الداي حسين وإعطائه مهلة أربعة وعشرون ساعة للرد وحمل هذا الإنذار قنصل سردينيا لذلك ذكرت انه خلف القنصل الفرنسي دوفال لكن الداي رفض هذه المطالب مما دفع كولي إلى إعلان الحصار على الجزائر في 16 جوان 1827 ، أما الداي فقد آمر باي قسنطينة بالاستيلاء على المنشات الفرنسي .[2]

[1] ابوالقاسم سعد الله المرجع السابق ص52.

[2] يحى بوعزيز سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية ، 1830/ 1954،دار ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ص 32.

لقد نجح دوفال في إحداث القطيعة الأمر الذي يعني الحرب وفي هذه الظروف بدأت المشاريع إعداد الحملة تتعاظم من يوم لآخر وتقترب من حيز التنفيذ وقد تم تكليف الجنرال لوفيردو بإعداد مشروع يحتوي على المعلومات التاريخية والجغرافية والإحصائية والعسكرية بهدف القيام بحملة ضد الجزائر وقد انهي عمله ولكن الحكومة الفرنسية لم تقرر الحملة واكتفت بالحصار بسبب حوادث اليونان وفراغ المخازن من الأسلحة ووجود الأسطول الفرنسي في شبه جزيرة المورة وتم تكليف ضابط أخر بإعداد مشروع لمهاجمة الجزائر بحر ثم يتولى وزير الحربية آنذاك والحقيقة انه استعان بمشروع بوتان السابق[1]

وأضاف وزير الحربية تونير في خطاب موجه للملك الفرنسي بان الوقت قد حان وسيكون للفرنسيين شرف تمدين الجزائريين بجعلهم مسيحيين .

**الحصار البحري:**

لقد أرسلت فرنسا الضابط كولي على رأس ست سفن بحرية إلى الجزائر وكذلك في 12 جوان 1827 ليملي مطالب فرنسا على الداي الذي واجهها بالرفض ولما تصلب الداي في موقفه أعلن كولي الحصار على الجزائر في يوم 11 جوان على متن السفينة لاطورش محملا برسالة من البارون دي ماس للقنصل دوفال وبناءا على هذه الرسالة فقد أمر دوفال الرعايا الفرنسيين المقيمين في الجزائر بان يغادرها وعلى اثر هذه القطيعة في علاقات البلدين اختارت الحكومة الفرنسية قنصل سردينيا الكونت داتيلي قائما بإعمالها بالقنصلية في الجزائر وبعد أن قررت فرنسا الحصار على الجزائر كان رد فعل الداي على ذلك أن اصدر أوامر بهدم المؤسسات والمصارف الفرنسية كان ذلك في 26 جوان 1827 وقدرت الخسائر بمليونين ونصف مليون فرنك فرنسي [2].

[1] ابو القاسم سعد الله المرجع السابق ،ص53.

[2] يحى بوعزيز المرجع السابق، ص 32

وقد تسبب حصار فرنسا للجزائر حدوث انقسام في الأوساط الفرنسية الحاكمة فكان كولي من أنصار الحملة والإنزال والاحتلال ولهذا الغرض أوفد عنه مبعوث إلى باريس ليدافع عن وجهة نظره هذه ولقد كانت تنظرا أن العلاقات بين الجزائر وفرنسا إن الحصار هو وسيلة لتأديب الداي وإرغامه على قبول المطالب الفرنسية ولذلك أعطيت الأوامر لدوفال بان لا يبرح الوحدات البحرية المحاصرة للجزائر وقد غدى هذا الإجراء دليلا على مكان يراود ذهن بعض الساسة في باريس[1].

لقد كان الحصار الفرنسي على الجزائر بأهض التكاليف محفوفا بالمخاطر والإتعاب ففي شهر ماي 1830 تمكنت بعض القبائل الجزائرية في نواحي دلس من ذبح ست وثمانيين من الرعايا الفرنسيين بيعت رؤوسهم في مدينة الجزائر وفي سنة 1828 عرف مجلس الوزراء الفرنسي انقساما كبيرا عن فعالية وأهداف الحصار على الجزائر ولقد رأى وزير الدفاع الفرنسي المؤيد للاحتلال أن الحملة هي امتداد للحروب الصليبية فعمل على تمدين السكان الأصليين للبلاد وبالتالي تنصيرهم وفي هذا المعنى خاطب ملكه شارل العاشر بما يأتي: لقد أرادت العناية الإلهية أن تتأثر لحمية جلا لتكم بشدة في شخص قنصلكم على يد الد الأعداء المسيحية ولعله لم يكن من باب الصدفة أن يدعي انه ابن لويس التقي لكي ينتقم للدين وللإنسانية ولأهانته الشخصية في نفس الوقت وربما يسعدنا الحظ بهذه المناسبة لنشر المدنية بين السكان الأصليين وندخلهم في النصرانية [2]

كانت الحكومة الفرنسية تؤمن بفعالية الحصار على الجزائر يظهر جليا من خلال تصريح الملك شارل العاشر الذي أورد في هذا الصدد ما يأتي : إن الحصار شديدا يكفي لعقاب الجزائر وحماية التجارة الفرنسية وقد كانت الأوساط المسؤولة كلها تمثل تقريبا اى الآخذ ففي 9 مارس أجاب احد النواب البرلمانيون الملك بقولهم : إننا مستريحون بشدة للإجراءات التي حددتها جلالتكم لحماية تجارتنا والانتقام لشرف فرنسا وفي يوم 5جانفي 1828 سقطت وزارة داي لاقيلال

[1] نفسه 34.

[2] جلال يحى ، السياسة الفرنسية ،في الجزائر دار المعرفة القاهرة ،مصرص، 83 .

لتعقبها حكومة مارتيناك ولم يكن هذا الأخير كثير الاعتماد على العناصر اليمينية المتطرفة كما ان وزير للخارجية دي لافورنيه لم يكن هو الأخر من أنصار تقسيم أملاك الدولة العثمانية مع الحكومة الروسية مما ابعد فكرة الاحتلام ل في هذا الوقت [1].

إن جل النواب التشكيلة الوزارية فأنهم كانوا يجهلون أهمية المسالة لأنهم كانوا ينظرون اليها من منظار شبه مغلق خاصة من جانب ضخامة النفقات المالية للحصار ولعل ابرز دليل على ذلك هو إن صائفة سنة 1829 تشهد سوى ن ائبين تصديا للدفاع بحرارة عن تأييد مشروع الحملة والإنزال ولهذا قام القائم على الإعمال الانجليزي بمفاتحة الداي بعد إن طال الحصار وأخطره باستعداد الداي للبحث في إيجاد هذه الأخيرة بالتوجه الجديد في سياسة الداي وطلب منه تبادل الأسرى كحجة للاتصال به وأخطرتها بأنها على استعداد للتنازل عن طلب الاعتذار مع الاحتفاظ بإيجاد حل كاف للمشكلة .[2] ان يرسل مندوب عنه إلى الداي مندوب عنه إلى فرنسا لتقديم الاعتذار وان يطلق صراح السفن البابوية وان تعقد هدنة بين الطرفين تمهيدا للصلح ثم توصل قنصل سردينيا في إبلاغ هذه الشروط للداي رفضها وقدم شروط أخرى مضادة حملها القنصل الانجليزي سان جون وتضمنت ما يلي :

- إن تتنازل فرنسا عن كل ادعاءاتها في حصن القالة وعن احتكار للتجارة في عنابة .
- يتعهد هو بمنحهم احتكار صيد المرجان إذا قدموا له عروضا أكثر من غيرهم.

نتيجة لهذا يكمن تجديد المعاهدات لفرنسية الجزائرية السابقة اذا قبلت فرنسا هذه الشروط فسيكون هو على استعداد لاستقبال مبعوث فرنسا على ظهر السفينة الانجليزية الراسية أمام الميناء

[2] عبد الجميد زوزو ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر 1830 1900،ط1 المؤسسة الوطنية للكتاب ،ص 42.

وبعد توقيع الصلح على هذه الأسس يصبح بإمكان حينئذ أن يرسل مندوبا عنه لفرنسا لتقديم الاعتذار [1].

وقد كانت هاته الخطوات ان تصل الى نتيجة وتنتهي بنجاح لولا حدوث مشكلة وهي حادثة السفينة لا بروفانس التي كان على ظهرها لا بروتونيير تبتعد عن ميناء الجزائر فإذا بالمدفعية تصوب ضدها وتقذفها لانها اقتربت من الحصون ولم ينكر الفرنسيين ذلك غير أنهم زعموا بشدة إن الريح هي التي دفعتهم نحو الحصون الجزائرية لكن السفينة لم تصب بأي ضرر حيث أنها أبعدت بسلام وقد تبرا الباشا من هذه الحادثة التي وقعت يوم 3 اوت 1829 وتاسف لزيادة التوتر في العلاقات وما زاد الأمر سوء هو تولي بولينياك رئاسة مجلس الوزراء الفرنسية في نهاية 1829الذي عرف بكرهه للجزائر وبعد الحصار الذي دام ثلاث سنوات تكت الموافقة على قرار الحملة الفرنسية على الجزائر والتي أسندت قيادتها إلى دي بورمون وفي 25 ماي 1830 غادرت الحملة الفرنسية المؤلفة من أربعين إلف جندي وأسطول عظيم ميناء طولون الحربي متجهة إلى الجزائر فوصلتها في 31 ماي 1830[2] ولكن اضطراب البحر جعل قائد الأسطول يقرر عدم الإنزال وانسحب إلى جزيرة بالما لبضعة أيام وعاد للظهور يوم 13 جوان عند ساحل سيدي فرج تم من خلالها تنفيذ فرنسا لاحتلالها للجزائ

**المبحث الثاني: دوافع وخلفيات فرض الحماية الفرنسية على تونس:**

الحماية الفرنسية في تونس انتصبت يوم 12ماي 1881 م ، بموجب معاهدة " باردو" ، حيث غيرت الحماية الهيكلة السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية في البلاد، و ظهرت على إثرها مقاومات بمختلف المناطق في تونس تعبر عن رفضها للتواجد الفرنسي على أراضيها المبحث الأول : الحماية الفرنسية على تونس و توقيع معاهدة الباردو 1881 م

[1] المرجع نفسه ،ص 54.

[2] بشير بلاج المرجع السابق ص53.

**1- أسباب الحماية الفرنسية على تونس:**

كانت فرنسا تسعى جاهدة للحصول على أكبر قدر من الامتيازات في تونس و منها امتياز توسيع ميناء تونس و إنشاء سكة حديدية ، و إقامة خطوط تلغراف مع العلم أن البنوك الفرنسية عرفت حيوية وازدهار في تونس[1] ، علما انه كان هناك تنافس فرنسي ايطالي للسيطرة على تونس ، ففرنسا بحكم وجودها في ارض الجزائر ، وايطاليا بحكم قرب أراضيها من تونس[2]. علما أن قناصل كل دولة قد لعبوا دورا هاما في تونس ، فعلى سبيل المثال " **روستان** " قنصل فرنسا رأى في ثورة "**علي بن غداهم**" فرصة ذهبية للتدخل في الشؤون التونسية فدعم الثورة، وقام بتشجيعها ، بل الأدهى والأمر أنه تقدم بطلب تنحية المعادين عن لفرنسا وتنحيتهم مراكز السلطة [3]، أما القنصل " **دي بوفال** " فقد سعى جاهدا للحصول على الامتيازات للرعايا الفرنسيين في تونس[4]، كن هزيمة فرنسا عام 1870م مع بروسيا هزت نفوذها في تونس، ولكنها لم تلبث أن تمكنت من أن تجعله مستقرا وهذا بفضل القنصل " **روستان** " الذي كان له الفضل في حصول شركة فرنسية تدعى "Bonne Galina" على امتياز مد الخط الحديدي من تونس غلى غاية الحدود الجزائرية احتكرت فرنسا الكثير من المشروعات مثل خطوط البرق وبعض المشاريع في زغوان[5]، وذلك لتضمن وفائها بالديون، لأن نفوذ فرنسا كان في قمته وذلك أن ديونها كانت تمثل نسبة كبيرة من الدين التونسي كان يمثلها مندوب حريص على مصالحها، وكل هذه الامتيازات حدث من سلطة الباي، بل تعتبر سببا في تدني الأوضاع الاقتصادية في تونس[6] .

---

[1]- طه حسين : تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار الفكر، الأردن، عمان ،2010، ص 104.

[2]- زين العابدين شمس الدين : تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار الميسرة، الأردن، عمان ،2011، ص 145.

3- شوقي عطاءالله الجمل: المرجع السابق،ص 121

[4]- ابن بي صاف: اتجاف أهل الزمان، مصدر سابق، ج6 ، ص 22.

[5]- مدينة قريبة من تونس من جهة الجنوب، عند سفح جبل زغوان، ينظر يحي شمي، موسوعة البلدان العربية الاسلامية،مرجع سابق، ص35.

[6]- زين العابدين شمس الدين : **تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، المرجع السابق، ص 141.

عانت تونس من أوضاع متذبذبة خاصة بعد أن ثقل الضرائب التي عانى منها مكان الإيالة، وفي هذه الأثناء كانت فرنسا تعاني تقهقرا في ظل الأزمة الاقتصادية ، مما دفع بها غلى الرغبة الشديدة في امتلاك تونس التي كانت تعتبر تحديا لطموحات الدول الأوربية العظمى وخاصة إيطاليا ، بحيث تعددت أولويات فرنسا وتنوعت عواملها من سياسية، اقتصادية وإستراتيجية.

**أولا: أسباب سياسية:**

تعددت الدوافع السياسية واختلف ولعل من أبرزها:

- تصريح وزير الخارجية بريطانيا **سالسبوري** النظرة **وادينتون** الذي كان الغرض منه إشعال فرنسا عن مسألة قبرص التي استولت عليها، بريطانيا بعدما كانت تابعة للدولة العثمانية، فقال في هذا التصريح قائلا:"**احتلوا تونس إن شئتم فبريطانيا لا تمانع ذلك بل تحترم قراركم** " [1]
- هزيمة فرنسا على يد الألمان، فاختلطت موازين فرنسا على إثر هذه الهزيمة، فظهرت فكرة التأثر وتجديد العسكرية الفرنسية ، والتي تبناها العديد من القادة ، وفي نفس الوقت استرجاع هيبتها ومكانتها بأوربا[2].
- التشجيع الألماني البريطاني لفرنسا على احتلال تونس والاستيلاء عليها وعزلها عن ممتلكات الدولة العثمانية، وذلك بعد مؤتمر برلين 1878م، فكان " **روستان** " متحمسا لاحتلال تونس خاصة بعد التغيرات التي طرأت على موقف الدول الأوربية باستثناء إيطاليا [3].

[1]- علي محجوبي، المرجع السابق، ص 35.
2- لحبيب ثامر: هذه تونس، المرجع السابق ص 25.
[3]- علي محجوبي، المرجع السابق، ص 25.

**ثانيا: أسباب إستراتيجية:**

- العامل الجغرافي وذلك بحكم قرب تونس من صقلية فهي تبعد عنها سوى 140 كم، حيث أن موقعها اكسبها مكانة إستراتيجية كبرى، وصارت محل أطماع الدول الأوربية وصار احتلالها بشكل أهمية بالة، إذ يمكن من مراقبة العبور بين غربي البحر المتوسط وشرقه.
- مجاورة الجزائر لتونس والامتداد الجغرافي لها، وهذا الجوار يقتضي نشوب مشاحنات بين الطرفين، ولهذا وجب على فرنسا الاستيلاء على تونس، وذلك تجنبا لأي تهديد أو خطر خارجي للحدود الجزائرية.
- الاستيلاء على الميناء الحربي **بنزوت** الذي يمثل قاعدة بحرية من الدرجة الأولى في البحر المتوسط، حيث أضحى احتلال تونس بالنسبة لفرنسا بمثابة ذرع الأمان لأسطولها الحربي وخاصة منذ فتح قناة السويس[1]، سنة 1869م، حيث أصبح هذا الميناء الحلقة الرابطة بين الشرق والغرب.

**ثالثا: الأسباب الاقتصادية:**

- بحث فرنسا عن أسواق تكون مضمونة لتصدر البضائع المكدسة ، حيث أن فرنسا كانت تأمين الحاجة لإيجاد أسواق ومجالات لاستثمار فوائض ورؤوس أموالها ومنتجاتها التي تغمر أسواقها الداخلية، حيث ذكر علي محجوبي أن الاقتصاد الرأسمالي ضاقت عنه حدود أوروبا الغربية عندما بلغ مستوى معين من التطور، وهذا ما يتجلى واضحا في تصريح " **جول فيري** " قائلا:" **أن تأسيس مستعمرة هو بمثابة خلق سوق**".
- قلة نسبة الأرباح لفرنسا وخاصة خلال فترة الصناعية حيث كانت آفاق الاستثمار محدودة جدا، مما أدى إلى البحث عن مجالات وفروع الاستثمار رؤوس أموالها، خاصة وأن مجالا خلال

[1]- قناة السويس: أنشأها الفرنسي فرديناند دي لسبس، وتم افتتاحها عام 1869م، ويصل طولها 193كلم بدءا من بورسعيد شمالا حتى بور توفيق جنوبا، ينظر: يحي محمد بهاء: معجم مصطلحات التاريخ، ط1، دار باقا للنشر والتوزيع ، الأردن، ص208، ص ص223.

الاستثمار لرؤوس الأموال في أوربا عامة وفرنسا خاصة لم يكن مثمرا وذا نتيجة وهذا سنة 1873م .

- كانت الأراضي التونسية تنتج حاصلات زراعية تسيل لعاب الاستعمار الأوربي الذي كان يسعى وراء الأراضي الخصبة أينما وجدت .

- ساعد التنافس القائم بين الدول الأوربية نتيجة التطور الرأسمالي والحاجة غلى فتح الأسواق للبيع التي أنتجتها الصناعة المتطورة فيها إلى توجيه أنظارها إلى تونس، ومما زاد الوضع تأزما هو نقلص الأسواق الخارجية المتطورة فيها إلى توجيه أنظارها إلى تونس، ومما زاد الوضع تأزما هو نقلص الأسواق الخارجية إذ فرضت البلدان الأوربية الأخرى حواجز جمركية لحماية صناعتها الفتية من مزاحمة الصناعات الفرنسية، وقد نتج عن هذا الوضع الاقتصادي أزمة اجتماعية أدت إلى انتشار البطالة جراء انخفاض الأجور، أما الشرط الذي مكن القوى الأوربية من تحقيق طموحاتها التوسعية هو التطور التقني والعلمي الذي أسس لقوة أوروبا الحربية مناعتها العسكرية[1].

## 2- احتلال تونس وإعلان الحماية الفرنسية عنها :

قام "**جول فيري**" في 4 أفريل 1884م بإعلام البرلمان الفرنسي بأنه سيقوم بحملة عسكرية على تونس ولا بد من تخصيص مبلغ مالي لأجل القيام بذلك بحجة ردع القبائل ، فلما وصل الخبر إلى الباي بتجهيزات فرنسا لحملة ضد تونس سعى إلى إرسال الاحتجاجات إلى الدول الأوروبية لحماية رعاياها في تونس معلنا بذلك عن احتلال تونس دون سابق إنذار، فعمل الباي ببعث برقيات إلى السلطان العثماني يناجيه أن ينقذ تونس، حيث ردد الباي في قوله:" **لقد وضعت مصيري ومصير الولاية بأيدي اصدر العظم والسلطان، إننا نسترحم باسم الإنسانية المساعدة من جلالتكم**" .

[1]- محمد عصفور سليمان، المرجع السابق ،ص 5.

تجلى موقف الدولة العثمانية من الحملة الفرنسية على تونس بعقد مجلس وزاري اقترح معاقبة الباي للجناة، وعلى الرغم من مقترحات المجلس الوزاري التي سعت إلى تسوية الأمور عملت السلطات الفرنسية على ضرب تلك المقترحات ولم تولها أية أهمية، وفي يوم 24أفريل 1881م تسربت كتيبة فرنسية متجهة نحو تونس بقيادة الجنرال "**لجيرو**" فاحتلت مدينة الكاف في 26 أفريل وسوق الأربعاء وعين دارهم فيما بعد[1]. وفي نفس الوقت قامت وحدة أخرى بقيادة " **فورجيمول**" باحتلال **طبرقة** بعد أن تم قصفها بالقنابل، وفي الفاتح من ماي استسلمت "بنزرت" بدون عناء ولا مقاومة تذكر، حيث زحف الجنرال "**بربار**" على مدينة تونس بوحدة بلغ عددها 8000 جندي[2]، وتم محاصرة مدينة لإبراز مدى قوة الجيش الفرنسي الذي بلغ تعداده 35000 عسكري أمام جيش الباي الذي كان يعاني قدم أسلحته، وقلة عدده، ولذلك أمرت الحكومة الفرنسية جيشها بعدم التعرض للجيش الفرنسي ومواجهته، لأن النتيجة كانت محسومة مسبقا والباي كان على دراية بها، ثم بدأت سلطات الاحتلال الفرنسي تنفذ سياستها الاستعمارية كما فعلت مع الجزائر، وفي 12 ماي عرض الجنرال " **بربار**" تونس على محمد الصادق توقع معاهدة " **قصر السعيد**" أو بمعاهدة "**باردو**"[3]. وقد اشتملت على مجموعة من البنود، يمكن إيجازها على سبيل الاختصار فيما يلي:

- الاحتلال الفرنسي لتونس إنما هو احتلال مؤقت بزوال متى اتفقت السلطات العسكريتان الفرنسية والتونسية على أن الأمن استتب في البلاد.
- فرنسا ملزمة بحماية الباي وأسرته.
- ينوب عن فرنسا وزير مقيم يراقب تنفيذ ما تضمنته المعاهدة.

---

[1]- أسماء بوصري ،ضاوية حفصاوي: المقاومة الشعبية في تونس ونتائجها (1881-1907)، مذكرة نيل شهادة الماستر، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة ، 2005- 2016، ص 11.

[2]- شاوش حباسي : (فرض الحماة الفرنسية على تونس ورد الفعل التونسي (1881-1883م) ، مجلة دراسات التاريخية، ج8، الجزائر، 1994، ص 96.

3- الشياني بن بلغيث: المرجع السابق، ص214.

**توقيع معاهدة باردو 1881م:**

**ثانيا : رد فعل دول المغرب العربي (الجزائر طرابلس الغرب):**

**أولا : الجزائر:**

وقف الشعب الجزائري مؤيدا ومتضامنا تجاه قضايا الأقطار العربية ،خاصة القضية التونسية، فكان الجزائريون بمختلف فئاتهم وطبقاتهم الاجتماعية ضد الاحتلال الفرنسي لتونس، رغم أن هذا الاحتلال كانت انطلاقته من الجزائر، وقد كان الفرنسيين ،على علم بموقف الجزائر المؤيد القضية التونسية ، ولهذا عمل الفرنسيين على إضعاف الجزائريين بشتى الوسائل قبل الشروع في احتلال تونس[1].

اعتقد الفرنسيون أن السياسة الزجرية القاسية التي مارستها على الجزائريين ستحول دون مشاركتهم في مقاومة الاحتلال الفرنسي لتونس، لكن اعتقادهم لم يكن في محله، حيث أعلن الجزائريون غضبهم وحملوا السلاح مع إخوانهم التونسيين في مختلف جبهات القتال والمقاومة على طول منطقة الحدود وفي أعماق البلاد التونسية وداخل الجزائر نفسها في إطار أشغال جزء من القوات الفرنسية بها وعرقلة الغازية منها داخل تونس ، وخلال شهر افريل 1881م، نظم الجزائيون العديد من القوافل التي كانت تحمل الأسلحة دعما لإخوانهم التونسيين، كما قدم اللاجئون بالوقوف إلى جانب المقاومون التونسيون في مقاومتهم للمحتل الفرنسي جزيرة طبرقة، جبال الخمير، شتاته والفراشيش[2] .

كما ظهر دعاة جزائريون وتونسيون في واحات واد سوف وراحوا يحثون الناس على حمل السلاح لتقديم يد العون للمجاهدين التونسيين فاضطرت السلطات الفرنسية إلى فرض ماقبة مشددة

1- يحي بوعزيز: ( دور تونس في دعم حركات التحرر في الجزائر، ومقف الجزائريين من احتلالها عام 1830م)، مجلة الثقافة، ع12- 70 جويلية أوت 1982، ص 50.

2: - جميلة غريزي، لامية بن عمر قضايا تونس تضامن الجزائريين معها من خلال جريدة المنار الجزائرية ' 1951-1954م)، مذكرة نيل شهادة الماستر ، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة (2016-2017)، ص 75.

على مناطق الحدود وزرعت عملائها في الواحات الجنوبية للتصدي لهؤلاء الدعاة، يبدو لنا من خلال ما سبق ذكره أن الجزائر طول عام 1881م ، مثلت مسرحا للاضطرابات والقلاقل والعمليات العسكرية معبرين بذلك عن رفضهم للاحتلال الفرنسي لتونس العدو المشترك بينهم، فشاركوا إخوانهم التونسيين في العمليات العسكرية المتعددة رغم قلة الإمكانيات والسياسة الزجرية التي مارستها السلطة الاستعمارية الغاشمة دون أن تنسى وضعية الجزائر التي لم تكن تختلف عن وضع تونس وتزامن احتلالها مع قيام مقاومة الشيخ بوعمامة 1881م[1].

**ثانيا: طرابلس الغرب:**

إن موقف الحكومة الطرابلسية لم يكن مختلفا عن موقف الجزائر اتجاه الاحتلال الفرنسي لتونس، ففي الوقت اذي كان الشعب الجزائري يعبر عن رفضه للاحتلال حدثت مظاهرات في طرابلس رافضة هي الأخرى للتواجد الفرنسي لتونس وفرض حمايتها عليها [2]، حيث قرر قادة المقومة التونسية ربط صلات مستمرة مع حكومة طرابلس وأوفدوا إليها عديدا من المبعوثين معلنين خروجهم عن طاعة الباي[3]، فلقد كان نجاح المقاومة التونسية مرهون بتخل الحكومة الطرابلسية ، حيث عملت هذه الأخيرة على فتح المنافذ البرية في وجه المقاومين بعد تشتت المقاومة في تونس، وهذا انتقل الثوار غلى مركز النفوذ العثماني التي يمكن للقتال ينطلق منها أسس جديدة[4]، سببت هجرة الثوار غلى طرابلس قلق كبير لدى الحكومة الفرنسية والتي عملت على إضعاف حركة المقاومة في البلاد التونسية، كما وسعت على توزيع منشورات على المهاجرين وتحريضهم بواسطة الباي على الرجوع

[1]- نور الهدى قسيمية: الحماية الفرنسة على تونس وردود الفعل الدولية، مرجع سابق، ص 53.
[2]- رأفت الشيخ: تاريخ العرب المعاصر، دط، دار الدراسات الجامعية والبحوث الإنسانية، 1996، ص 142.
[3]- احمد القصاب: المرجع السابق، ص 26.
[4]- محمد الهادي الشريف: المرجع السابق، ص112.

إلى أوطانهم، حيث تمكن " **فيرو**" قنصل فرنسا من إرغام أخ "علي بن خليفة محمد بن صالح" الذي قبل التخلي عن المقاومة مقابل بعض الامتيازات[1].

**ثالثا: رد فعل الدول الأوروبية:**

لقد كان موقف الدول الأوروبية بالنسبة لاحتلال الفرنسي لتونس تحت اسم الحماية مخيبا لأمال حكومة اسطنبول، حيث أن ألمانيا لم تحرك ساكنا ولم تبدي رئيا صريحا حيث كان " **بسمارك** " سعيدا جدا لأن فرنسا قامت بعمل يلهيها عنه ويلهيه عنها [2]، وفي فيينا لم يجد ممثل الحكومة العثمانية نجاحا يذكر، في حي ان ايطاليا أصيبت بخيبة أمل قوية للاعتداء الفرنسي ، حيث قررت عدم التصرف بمفردها بخصوص هذه المسالة التي هي محل اهتمام الدول الكبرى خاصة بريطانيا. أما الموقف الروسي فقد كان مؤيدا للدولة العثمانية، مع تحفظها في اتخاذ أي قرار، لأنها أرادت أن تكون صديقة لفرنسا، ولكنها من جهة أخرى أيدت استعدادها لمناقشة الموضوع إذا أيدت إحدى الدول المبادرة. لقد كان هناك تناقض بين مثلي حكومات الدول الكبرى فروسيا لا ترى في نيتها مبادة الوساطة، إلا أنها مستعدة إن تقدم مساعدتها إذا أخذت المبادرة دولة كبرى قوية لها مصالحها في المنطقة كايطاليا أو بريطانيا ، في حين إن ألمانيا والنمسا لم تبد أي اهتمام بالمالية التونسية ، وهذا تركت فرنسا بمفردها لتحقيق ما رسمت في احتلال تونس والاستيلاء عليها[3].

قرر رئيس وزراء بريطانيا التفاهم ممثلي الدول الأوربية للوصول إلى حل يرضي جميع الأطراف، ولكن فرنسا كانت قد خرجت بقرارات لفرض حمايتها على تونس، لذلك قررت الحكومة البريطانية أنها لن تتبنى الخطوة الأولى للمبادرة السياسية مع الدول الكبرى، وبرفض بريطانيا أخذ المبادرة السياسية لدى الدول الكبرى الموقعة على المعاهدة "**برلين**" لتسوية المشكلة التونسية، فقد الباب العالي أمله الوحيد في قطع الطريق على فرنسا، وذلك بمنعها من احتلال تونس وفرض

[1]- علي محجوبي المرجع السابق، ص 26.

[2]- محمد عصفور سليمان: الحماية الفرنسية على تونس عام 1881 م الموقف العثماني والأوربي منها ، المرجع السابق، ص9.

[3]– عبد الرحمان تشانجي: المصدر السابق،ص 99.

الحماية عليها، وكان لفرنسا ذلك حيث ظفرت بمفردها وأرغمت الباي بتوقيع معاهدة الباردو 12 ماي 1881م، مع العلم أن برلين أعلنت عن استلام نص الاحتجاج وفيينا لم يتغير موقفها، فقد احتفظ وزير النمسا بصمته منذ بداية الأزمة التونسية، أما روما فقد صرح وزير الشؤون الخارجية الإيطالي انه "**نظرا لعدم الاهتمام الذي أظهرته بقية الدول الكبرى وخاصة المساندة الرسمية التي منحتها ألمانيا لفرنسا في هذه المسالة فانه من المستحيل على الحكومة الايطالية أن تخرج من موقفها المحافظ الذي فرضته عليها الملابسات الحالية** " أما بريطانيا فقد دخلت في مقاومات مع الحكومة الفرنسية للحصول على التزامات تضمن المصالح البريطانية ، ولكن الحكومة البريطانية من جهة أخرى تجنبت إعطاء رد كتابي لنص الاحتجاج العثماني حتى 18 حزيران 1881م، وبهذا فرضت فرنسا حمايتها على تونس بالقوة بالرغم من احتجاج الحكومة العثمانية ومعارضة بايت ون ، وتأييد بعض دول الكبرى للحماية الفرنسية[1].

إمضاء آلي محمد الصادق على معاهدة الاستسلام، لم يكن خياره الوحيد و لكن يمكن أن نقول ضعف شخصيته كسابقيه لأن رجال إيالته اقترحوا عليه عدم الرضوخ وتعبئة أوساط شعب التونسي على المقاومة ، كما أن التهديد بعزله وتنصيب أخيه مكانه إن لم يوقع المعاهدة ، لبالمبرر الكافي للرضوخ و لكن نضرته الأنانية و حبه لمكانته وللسلطة أرغمته على الإمضاء و تسليم المفاتيح تونس لفرنسا دون مقاومة منه .

[1]- محمد عصفور سليمان: الحماية الفرنسية على تونس عام 1881 م الموقف العثماني والأوربي منها ، ص12.

# الفصل الثالث

**دراسة مقارنة بين معاهدة الاستسلام الجزائر ومعاهدة باردو**

**المبحث الأول: مقارنة في خلفيات ودوافع الاحتلال الفرنسي وتونس**

**المبحث الثاني: مقارنة بين المعاهدتين**

## المبحث الأول: مقارنة في خلفيات ودوافع الاحتلال الفرنسي وتونس

### 1-/ مقارنة ف الخلفيات والدوافع السياسية والعسكرية:

كان لبداية الوجود العثماني الجزائر مع مطلع القرن 16 تهديد مباشر لأطماع التوسع الأوربي ليس فقط ف الجزائر وإنما في جميع سواحل بلا المغرب ، فحكم الأتراك لهذه البلاد كان بداية لنهاية الاحتلال الإسباني فيها ، حيث تمتعت ظله بمكانة مرموقة وهيبة دولية، ولكن مع نهاية القرن 16 دخلت البلاد في اضطرابات والصراعات على الحكم، رغم تواصل وتعاظم قوة الجزائر الخارجية مع تزايد رهبة وحشية الدول الأوروبية منها [1].

اشغل العثمانيون في الجزائر في هذه الفترة بالصراع على الحكم والتنافس من أجل كسب الأموال بالنظر لكثرة نشاطاتهم العسكرية البحرية التي كسبوا منها كميات هائلة من الغنائم في حربهم مع دول أوبا، وكذلك فكرت هذه الأخيرة بالتحالف للقضاء على إبادة الجزائر ونشاطها البحري ، الوقت ذاته اتسمت السياسة العثمانية الداخلية الجزائر بالعزلة وحالت دون إمكانية اندماج الأتراك بالأوساط المحلية ، مما خلق نوع من الحواجز والطبقية التي أثارت سخط السكان وقلة تضامنهم مع النظام الحكم وهذا ما زاد من خطر زواله[2].

وكانت فرنسا تحرص دائما على إقامة علاقات دبلوماسية مع الجزائر كسبا لودها ورغبتها الشديدة في إستغلال خيرات البلاد الاقتصادية والتي منها احتكار استثمار المرجان ، حتى أنملكفرسا " شارل التاسع" أرسل إلى القنصل الفرنسي في اسطنبول " فرانسوا دينواي **(François Denway)** " رسالة يطلب فيها بوضوح م السلطان التركي التنازل على الجزائر مقابل مبلغ مالي سنوي مغري لكنه رفض قبول هذا العرض.[3]

[1]-العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية ، دار المعرفة ، الجزائر، 2006، ص ص 29-30.
[2] - فركوس صالح الحاج أحمد باي قسنطينة، الجزائر ، 1993 ، ص 11-13.
[3] - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2 ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982، ص 32.

ومن 29 مارس 1619 إلى 5 جوان 1830 كانت 75 معاهدة تخدم مصالح فرنسا ، لكن أطماع فرنسا التوسعية حالت دون استقرار علاقاتها السياسية مع الجزائر، حيث كانت تتوفر العلاقات في العديد من المرات، بل وكانت تتطور أحيانا إلى مواجهات عسكرية ، أو قطع للعلاقات الدبلوماسية ، خاصة بسبب تصرفات الشركات الفرنسية الاستفزازية أهمها شركة "لنش" بساحل القالة وعنابة التي كانت تتصرف وكأنها في بلد محتل وكذلك بمخالفتها لبعض الاتفاقيات.[1]

كما أن فرنسا أرادت أن تعوض هزائمها في أوروبا و حملتها الفاشلة على مصر ، وما فقدته من مستعمرات و مراكز في أمريكا الشمالية و الهند و غرب إفريقيا (السنغال) عقب حرب السنوات السبع ( 1763.1756) ضد بريطانيا [2]، وقد كانت معظم دول أوروبا تكن العداء لفرنسا كبريطانيا وروسيا ، فكان مشروعا بأن تعيد سمعتها في أوروبا على حساب الجزائر ، كما أنها بذلك تقطع الطريق على بريطانيا أشد منافسيها . ومن جهة أخرى كانت دول أوروبا التي تضررت من حملات نابليون العسكرية تحاول أن تبعد فرنسا عن أوروبا بتشجيعها على الاهتمام بمناطق أخرى. وقد شجعت بريطانيا والنمسا ملك فرنسا شارل العاشر على القيام بغارة على الجزائر للغرض نفسه، وليحافظ على عرشه مدة أطول في ظل الثورة التي كانت تعم البلاد. لإلهاء الرأي العام الفرنسي بحملة عسكرية كبرى عن والاضطرابات الداخلية. وإشغال الجيش بمسائل حيوية والمتمثلة في التوسع في إفريقيا باحتلال الجزائر ، وبالتالي يتلخص الملك من إمكانية قيام الجيش بانقلاب ضده. هذا بالإضافة هذا بالإضافة إلى رغبة شارل العاشر في إيجاد تعاون وثيق مع روسيا في حوض البحر الأبيض المتوسط حتى يتغلب على الهيمنة البريطانية في هذا البحر.

ولم تخفي فرنسا طبيعتها في فتح باب الهيمنة على القارة الإفريقية بداية بأخذ المغرب وتونس وخاصة الجزائر بسبب موقعها المتميز حيث صرح نائب في البرلمان الفرنسي لويس بلانكي ( **louis**

[1] - صالح فركوس ، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال- المراحل الكبرى – دار العلوم للنشر والتوزيع، ،الجزائر، 2005، ص ص 175-176.

[2] - حرب السنوات السبع : هي حرب اشتركت فيها جميع دول أوروبا تقريبا ، و امتدت إلى أمريكا و الهند ، نشبت في البداية بين بروسيا و النمسا من أجل السيطرة على ألمانيا ، وساعدت بريطانيا بروسيا كما ساعدت فرنسا النمسا ، و بإضافة إلى خسارتها أراضي أمريكا الشمالية ، أفرعت خزينة فرنسا و قامت فيها الثورة ، أنظر : فراس البيطار الموسوعة السياسة و العسكرية ، ج3، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، ص1226-1236 .

**Auguste Blanqui)** إنه من المستحيل أن نتخلى عن الجزائر الأرض التي سقيناها بدمائنا ... إننا امتلكنا أكثر من 800 كيل (أي كلم) من لسواحل القريبة من فرنسا وايطاليا واسبانيا واليونان وغير بعيد من جبل طارق ومالطا. [1]

وجاء مؤتمر فينا الذي أكد في قراراته النهائية المعلنة بتاريخ **9**جوان**1815** تحريم القرصنة، ليدعم مشروع فرنسا في احتلال الجزائر، وفي أوت **1815** عينت فرنسا "بياردوفال" قنصلا لها في الجزائر حيث بعثت معه استعدادها لتصفية الديون كمقدمة لبداية مشروعها، وفي سبتمبر **1818** قدمت قطعة بحرية إنجليزية – فرنسية بقيادة الأميرال " فريمونتل" و"جوليان" ليعلنا للداي قرارات مؤتمر اكس لاشابيل بمنع القرصنة وتجارة العبيد ، لكن الداي رفض الانطباع والتوقيع على الوثيقة التي تقدمت له.[2]

**3- الخلفيات والدواعي الاقتصادية والاجتماعية:**

اعتقدت فرنسا أن احتلالها للجزائر سيمكنها من الحصول على غنيمة تقدر ب **150** مليون فرنك توجد في خزينة الداي ، كما أن هدف إقامة علاقات دبلوماسية مع الجزائر كان من أجل استغلال خيرات البلاد الاقتصادية ، ولذلك تعاون الرأسماليون الفرنسيون الذين كانت تدفعهم مصالحهم المالية إلى العثور على أسواق جديدة وموارد خام ضرورية لهم مع رجال الجيش الذين كانوا يبحثون عن المغامرة وملء جيوبهم بواسطة السلب والنهب حتى يرتقوا إلى مصف ألشخصيات الراقية في المجتمع الفرنسي، هذا وكانت مجموعة من التجار متحمسة لفكرة احتلال الجزائر والاستيلاء على الأراضي الخصبة بها وزراعة العنب والبحث عن مناجم الذهب، أضف إلى هذا تطلع بعض التجار الفرنسيين لتطوير أسواقهم التجارية وتوسيعها [3].

[1] – سيمون فاير ، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ، تر:دودو أبوالعيد ،دار هومة للطباعة وللنشر والتوزيع،الجزائر، 2009، ص 250-253.

[2] – صالح فكوس ، الحاج احمد باي قسنطسينة ، المرجع السابق ، ص 15.

[3] – إحسان حقي ، الجزائر العربية ارض الكفاح المجيد، بيروت، 1961، ص 45.

وفي ذلك قال الجنرال بيجو[1]، ستطلب الجزائر ولمدة أطول المنتوجات الصناعية من فرنسا بينما أستطيع تزويد فرنسا بكميات هائلة من المواد الأولية اللازمة للصناعة"، ولقد رأت البرجوازية أن هذا سيجلب لها أرباح خاصة بعد توطين الفائض من سكان فرنسا وأوروبا وإرساله إلى الجزائر من أجل الخدمة الأراضي الزراعية واستغلال خيراتها من حبوب وقمح [2]، وتمهدا لذلك نجحت فرنسا بفضل علاقاتها الودية مع الدولة العثمانية في تأسيس أول شركة فرنسية لاستثمار المرجان "شركة لانش" سنة **1561**م، كما تحصلت على موافقة الداي حسان باشا(**1557-1567**م) لإنشاء المؤسسة الفرنسية الإفريقية (**Concession Françaised'Afrique**)، والتي استمرت حتى القرن **19** ، وأصبحت قاعدة عسكرية أكثر, منها تجارية [3].

وبعد تسارع الثورة الصناعية بفرنسا بداية القرن **17** عاملا أساسيا في تطلعها إلى ثروات الجزائر الزراعية والمعدنية، وهي الحقيقة التي أقر بها وزير الحرب الفرنسي " كليرمونتونير" ( **Tonnerre Clermont** ) في تقريره الذي أرسله إلى شارل العاشر في سبتمبر **1827**م، حيث يقول "... توجد مراسي عديدة على السواحل الجزائرية الطويلة التي يعتبر الاستيلاء عليها مفيدا لفرنسا، وتحوي أراضي الجزائر مناجم غنية بالحديد والرصاص، وتزخر بكميات هائلة من الملح والبارود، كما توجد في سواحلها ملاحات غنية".

ولعل من أهم الدوافع الاقتصادية الحملة الفرنسية العسكرية على الجزائر هو التخلص من تسديد ديونها المتبقية، وتتخلص قضية الديون في العلاقة المشبوهة التي كانت تربط اليوديان بكري وبوشناق بالقنصل دوفال، اللذان كانا يقومان بتسديد ما اشترته فرنسا من الحكومة الجزائرية نيابة

---

**1** – الجينيرال بيجو هو توماس روبير بيجو تول الحكم في الجزائر بين 1840-1847 سلك خلال ستوات حكمه سياسة القهر والعنف الإبادة والتدمير والتهجير.

**2** محمد الطبي ، الجزائر عشية الغزو الاحتلالي دراسة في الذهنيات والبنيات والمآلات ، دار ابن النديم للنشر والتوزيع ، الجزائر 2009، ص ص 135-136.

**3** – صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، المرجع السباق ص 179.

عنها، بعدما كانت فرنسا من قبل تشتري ما تحتاجه مباشرة من موانئ الجزائر، وعندما طالب الداي حسين بثمن القمح اتفق دوفال مع التاجرين اليهوديين على توقيف الدين [1].

هذا كله بالإضافة إلى أن أعداد سكان فرنسا كانت في تزايد مستمر بفضل تحسن ظروف الصحة والحياة بعد التطور الاقتصادي الناتج عن الثورة الصناعية بشكل عام، إذ بلغوا **32** مليونا عام **1830**، وهذا يمثلا عبئا اقتصاديا إضافيا، وبالتالي يجب البحث عن مجال لإسكان بعضهم.

### 4- الدوافع الدينية والحضارية:

الأكيد أن الدافع الاقتصادي هو أقوى محرك للنزعة الاستعمارية الأوربية في العصر الحديث، لكن لا يمكن فصل ذلك عن الصراع المتواصل بين الغرب المسيحي والشرق الاسلامي الذي يعود إلى فجر الإسلام، والذي كان قائما في هذا العصر بين الدول المسيحية الأوربية والدولة العثمانية التي حققت فتوحات إسلامية أوشكت على أسلمة أوربا بكاملها؛ وكانت الجزائر أشد المؤيدين والمتعاونين مع الدولة العثمانية في الدفاع عن الإسلام وننشره خاصة في حوض البحر المتوسط، وهذا ما جعلها في مقدمة أعداء دول أوربا في جانب الدولة العثمانية [2] .

## ثالثا مقارنة:

### 1- من حيث الخلفيات والدوافع:

### 1-1 / الخلفيات التاريخية:

هناك تتشابه كبير في الخلفيات التاريخية بين الاحتلال الفرنسي للجزائر والحماية على تونس،فقد كانت كل منهما عرضة للحملات الصليبية الأوربية ومنها الفرنسية وذلك منذ أواخر القرن

[1] - نفسه ، ص ص 180-181.

[2] - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية وإلى غاية 1962 ، دار المغرب الإسلامي، 1997، ص 86.

**13** ، عندما كان يفكر ملك فرنسا لويس التاسع في غزو واحتلال بلدان المغرب، فقام بحملة صليبية على تونس سنة **1270** ، وتقول كثير من المراجع أنه كان يقصد الجزائر كذلك.

وفي بداية القرن السادس وبعبد اشتداد الحملات الصليبية خاصة الإسبانية على سواحل الجزائر وتونس تم الاستنجاد بالإخوة بربروس الذين جعلوا تونس والجز زائر ولايتان عمانيتان وأسسوا فهما أساطيل بحرية سادت المتوسط بنشاط,ا الحربي ضد القوى الأوربية، هذا ما جعل هذه القوى ومنها فرنسا تحاول كسب ود الجزائر وتونس بعقد مجموعة اتفاقيات سلم وتتعاون سياسي واقتصادي وحتى حربي، وكانت تسعى فرنسا من وراء ذلك لكسب مزيد من الامتيازات الاقتصادية[1].

لكن علاقة فرنسا بكل من الجزائر وتونس توترت مع نهاية القرن **16**م بداية القرن **17**م، رغم عودة السلم والمهادنة على فترات، حيث أصبحت الجزائر وتونس هدفا مشاريع الاحتلال الفرنسي ، ففي ع,د ملك فرنسا شارل التاسع تجددت فكرة غزو الجزائر، وذلك بعد المعركة البحرية التي هزم فيها الأسطول ألعثمانيي يوم **9** أكتوبر **1571**، وفي **1791**، قدم قنصل فرنسا مشروع لاحتلال الجزائر[2] ، وفي نفس الفترة تقريبا تحديدا سنة **1600** غرض أحد قادة السفن البروفنسية الفرنسية مشروعا الاحتلال تونس يتعمد على خطة إحراق الأسطول التونسي في ميناء حلق الوا دي لكنه لم يتم.

وفي سنة **1792** التي تم فيها تحرير وهران و المرسى الكبير الوجود الاسباني، كانت هناك رغبة أن تحل فرنسا محل اسبانيا في شمال إفريقيا ، وفي ع,د نابيلون بونبارت تجددت نوايا فرنسا بجعل البحر الأبيض المتوسط بحيرة فرنسية ، لذلك كان يخطط لحملة كبيرة ضد دول المغرب العربي الأربع وإقامة مستعمرات عسكرية فرنسية وهناك.

وهناك أوجه اختلاف في الاختلافات التاريخية بين الاحتلال الفرنسي الجزائر والحماية الفرنسي على تونس خاصة مع نهاية القرن **18** وبداية ق**19**م، ذلك أن فرنسا كانت تعتبر الجزائر

**1**- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر ، ج1 ط1 ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية ، 1965، ص 179.

[2] - بوعزيز ، مرجع سابق ص 165.

وأسطولها البحري أخطر من تونس على أمنها في البحر المتوسط، وأن الجزائر أحسن فائدة اقتصادية من تونس في تلك الفترة ، كما أن أزمة الديون الجزائرية على زادت من رغبة احتلالها أكثر.

ورغم وجود تنافس استعماري مشابه على الجزائر وتونس بين القوى الأوربية خاصة بين فرنسا وبريطانيا، وفي حالة تونس مع إيطاليا أيضا، إلا أنه هناك اختلاف في قضية حسم فرنسا لتدخلها في الجزائر وتونس، حيث وبعد أن اتفقت القوى الأوربية على تأديب الجزائر وإنهاء نشاطها البحري (القرصنة) في مؤتمر إكس لاشابيل، أعدت فرنسا مشروعها بكل سرية ونالت التزكية من القوى الأوربية بعد بداية الحملة العسكرية على الجزائر، بينتما في مشروع احتلال تونس استطاعت فرنسا كسب موافقة أغلب القوى الأوروبية مسبقا خلال مؤتمر برلين **1878**.

### 1-2 الخلفيات والدوافع السياسية والعسكرية:

لا يوجد تقريبيا مجال اختلاف بين الخلفيات والدوافع السياسية والعسكرية للإحتلال الفرنسي للجزائر وتونس، حيث كانت فرنسا تعتبرهما جزء من في حوض المتوسط .

كما أن فرنسا أرادت أن تعوض هزائمها الإمبراطورية العثمانية أشد أعدائها ، كما أنهما كانتا يهددان مشاريع فرنسا التوسعية وأمنها باستمرار في أوروبا وحملتها الفاشلة على مصر، وما فقدته من مستعمرات ومراكز في أمريكا الشمالية والهند و غرب إفريقيا ( السنغال) باحتلال الجزائر أولا ثم تونس، ولم تخف فرنسا طمعها في فتح باب الهيمنة على القارة افريقية بذلك بسبب موقعها المتميز القريب من السواحل في فرنسا وإيطاليا وإسبانيا واليونان وغير بعيد عن جبل طارق ومالطا[1]، وهذا يسمح بمراقبة طريق العبور بين غربيي البحر المتوسط وشرقه، مما يسهل طبعا مراقبة التجارة المتوسطية .[2]

[1]- سيمون فاير، المرجع السابق ، 250-251.

[2] - المحجوبي، المرجع السابق،ص26.

بالإضافة الرغبة فرنسا في اكتساب مزيد من القواعد الآمنة لبحريتها ، حتى تتزود بالمؤن والوقود وتستفيد من الراحة، واعتبر جول فيري **(Jules ferry)** احتلال تونس مفتاح مملكة فرنسا الجزائرية ، والوجود الفرنسي في الجزائر لا يكون آمنا ما بقيت بلاد الحدود – تونس والمغرب – خارج هيمنته [1]، حيث كانت فرنسا تعتبر الجزائر وتونس امتدادا جغرافيا لبعضهما، فقد اعتبرت تونس ملحقة طبيعية وإدارية للجزائر التي كانت قد تمكنت منها استعمارها وإداريا.

كما أن فرنسا كانت تعتبر نفسها من الدول ذات الدرجة الأولى في العالم وإن لم تواصل التوسع سوف يهبط إلى دول الدرجة الثانية أول الثالثة، وقد صرح قمبيطا **(Gambetta)** أحد كبار الساسة الفرنسيين إن الأمم تبقى وتدوم بفضل التوسع وبالإشعاع خارج حدودها ، خاصة في ظل منافستها الدائمة لدول أوربا وفي مقدمتها بريطانيا.

ولعل الاختلاف الوحيد في الخلفيات السياسية للاحتلال الفرنسي لـلجزائر وتونس هو أن احتلال الجزائر كان رغبة من ملك فرنسا شارل العاشر الحفاظ على عرشه في ظل الاضطرابات الداخلية التي كانت تعيشها فرنسا بإلهاء الرأي العام الفرنسي وإشغال الجيش بحملة عسكرية كبرى ، بينما جاء مشروع فرض الحماية على تونس لتأمين تواجدها في الجزائر وإبعادا للسلطة العثمانية من حدودها وكذلك إنهاء للأطماع الإيطالية فيها.

### 1-3 الخلفيات والدوافع الاقتصادية والاجتماعية:

يندرج الاحتلال الفرنسي للجزائر تونس ضمن مرحلة تطور التوسع الاستعماري الفرنسي نحو المضمون الامبريالي ، فالقرن التاسع عشر هو قرن تقدم أوروبا الغربية علميا وصناعيا نحو الازدهار والقوة والسيطرة العالمية، وكانت الصناعات الفرنسية المتطورة في حاجة الى المحافظة على وتيرة إنتاجها، بل والزيادة فيها، ولهذا وجب توفير، أسواق جديدة لها خارج البلاد، كما أن رؤوس الأموال المكتسبة بفضل الأرباح التجارية ، توفر ربح أفضل إذا تم استغلالها في المستعمرات، والتزود بالمواد الأولية المتوفرة في تلك المستعمرات أضمن وأسهل وأقل كلفة، وهذا كله

[1] - الهادي البكوش، المرجع السابق ، ص 60.

كتوفر سواء في الجزائر أو في تونس، رغم اختلاف الظروف باختلاف تواريخ الاحتلال (**1830** بالنسبة للجزائ و **1881** بالنسبة لتونس.

هذا بالإضافة إلى أن رغبة فرنسا كانت واحدة في نهب خيرات الجزائر وتونس الزراعية والمعدنية وما هو موجود في خزائنها من غنائم وكنوز وأموال، مع اختلاف بسيط كون فرنسا كانت تريد التخلص من أزمة الديون المترتبة عن شراء القمح من الجزائر بينما استعملت ديونها على تونس لفرض الحماية عليها. كما أن مسألة البحث عن مجال للفائض السكاني الذي عانت منه فرنسا بسبب تحسن ظروف المعيشة فيها، متشابه في دوافع احتلال الجزائر وتونس معا.

**4 – 1 الخلفيات والدوافع الدينية والحضارية:**

كانت الجزائر وتونس من أشد المؤدين والمتعاونين مع الدولة العثمانية في الدفاع عن الاسلام ونشره خاصة في حوض البحر المتوسط، وهذا ما جعل,ما في مقدمة أعداء دول أوروبا ، ولهذا كان للجانب الديني أثر مشترك في احتلال فرنسا الجزائر وتونس رغبة منها في عودة الكنيسة الكاتولوكية وراعية لنشر المسيحية .

**1-5 الدافع المباشر (الذريعة او الحجة):**

لقد اختلقت فرنسا الذرائع لاحتلال الجزائر ولفرض الحماية على تونس لإقناع الرأي العام المحلي والعالمي بمشروعيتهما، ويكمن التشابه بينهما كونها واهية وغير مقنعة لأي عاقل، فكيف الحادثة عرضية مفتعلة بين القنصل الفرنسي وداي الجزائر (ما يسمى بحادثة المروحة) أن تكون سببا في قيام حرب أو مشروع احتلال لفرض الاعتذار، وكيف لحادثة اعتداء قبائل الخمير على الحدود الجزائرية والتي لم تكن الأولى من نوعها أن تكون سببا في فرض الحماية على تونس.

رغم الاختلاف في طريقة الاحتلال الفرنسي للجزائر وتونس بين الاحتلال المباشر ونظام الحماية ، إلا أن كلاهما يندرج في إطار الهيمنة والسيطرة الأوربية التي مهدت لها الثورة الصناعية وتغيير موازين القوى بين الشرق والغرب ، ومن خلال تتبع خلفيات ودوافع الاحتلال

الفرنسي لكل من الجزائر وتونس ومقارنتهما نلاحظ التشابه الكبير في الخلفيات من أغلب نوحيها التاريخية والسياسية والأ قتصادية وغيرها ووجود أختلافات في الدوافع وذلك ، بأختلاف المكان والزمان وطريقة الاحتلال لكل من الجزائر وتونس وحتى في السياسة الاستعمارية التي استعملتها فرنسا في القطرين تختلف لأن فرنسا احتلت الجزائر احتلال مباشر واستيطان عكس تونس التي استعمرتها في إطار ما يسمى بنظام الحماية وأ بقت على الحكم من السكان .

## 2/ المبحث الثاني : مقارنة بين معاهدة إستلام الجزائر ومعاهدة باردو تونس

لقد تعرضت كل من الجزائر وتونس الى الظاهرة الإ ستعمارية في بداية القرن التاسع عشر والتي تندرج في إطار الهيمنة الفرنسية على دول شمال إفريقيا ،والتي لم تتم بطريقة إ عتباطية ولكنها كانت ممنهجة وإرادة فرنسا الكولونيالية إعطائها صبغة قانونية في إطار مايسمى بالمعاهدات وفعلا فرنسا عقدت معاهدتين مع كل من الجزائر وتونس وهذا من اجل بسط نفودها على القطرين فالمعاهدة مع الجزائر تسمى معاهدة إستسلام الجزائر والمعاهدة الثانية تسمى معاهدة باردو مع تونس ،ولعلنا نحن هنا بصدد ان نقارن بين هاتين المعاهدتين ، من ناحية المحتوى والبنود والظرفية الزمانية والمكانية والاطراف التي سنت هاتين المعاهدتين ،ومدى إلتزام فرنسا ببنود ومحتوى الي جاء في طياتهما .

### أ/ نص معاهدة إستسلام الجزائر والظروف التي عقدت فيها:

يبدو ان إتفاقية الجزائر لم تكن في الواقع أكثر إتفاقية تسليم عسكري بين غالب ومغلوب وفقا لما جاء في البند الاول منها عند الساعة العاشرة من صبيحة يوم الخامس من جويلية سلم الى الجند الفرنسي حصن القصبة وسائر الحصون الاخرى التابعة للجزائر أو مرسى هذة المدينة[1].

وهنا نتضح نية فرنسا في الظفر بموقع إسترتيجي يتمثل في مدينة الجزائر كمرحلة أولى للتوغل في أرجاء الجزائر ،ومنها الى إفريقيا فلو كانت نيتها تأديب الداي لاخذت الداي حسين حاكمته وتخلص الجزائريين من هذا الاحتلال فلا نجدبند يعزز فيه الداي او يحيله الى المحاكمة لانه قام باذلال بيار دوفال فقد إحترم الداي واسرته وتعهد له بحماية السلطان لشخصه وماله وأفراد اسرته .[2]

أكرمت فرنسا الداي حسين وسمحت له بان يبقى في الجزائر معززا مكرما او يختار اي وجهة يذهب اليها لسماحه لهم بعد تنازله في اتفاقية الاستسلام باخذ شئ ثمين يتمثل في سلطة الجزائر

[1] محمد العربي الزبيري :المقاومة في الجزائر 1830-1840: مجلة الاصالة عدد 29 1979/01/30.

[2] المرجع نفسه نفس العدد.

ليس الداي وحده من يتمتع بهذه الحقوق بل كل جنوده الاتراك يتمتعون بها ايضا ومن اهم البنود الستة لهذه الاتفاقية البند الخامس منها والذي ينص على احترام الدين الاسلامي تكون اقامة الشعائر الدينية المحمدية حرة ولا يقع المساس بحرية السكان في مختلف الطبقات ولا بدينهم ولا باملاكهم ولا بتجارتهم ولا لصناعتهم فتحترم نساؤهم ويقدم القائد العام بذلك عهد شرف والمحافظة على حريته كما يحترم حرية جميع طبقات السكان دياناتهم واموالهم واحترام كامل للمرءة الجزائرية وعلى ان لا يؤذن للجنود الفرنسيين[1] بدخول المساجد الجزائرية .

قد تعهد دبرمون شرفه بهذا الالتزام وهكذا وعدت فرنسا الجزائريين بحرية الدين واحترام المرأة والممتلكات والتقاليد والتي لا شك انها شملت اللغة والرموز الوطنية للبلاد بانشاء السيادة تتضمن وثيقة الاستسلام المفروضة على الداي حسين من طرف د يبرمون تتضمن الشروط التالية :

- تسليم قلاع وحصون العاصمة وابوابها والميناء صبيحة الخامس من يوليو .
- يتعهد بحفظ حياة الداي وممتلكاته الخاصة .
- في هذه الحالة كرم الداي ولم يهن حوفظ على حياته بدلا من إعدامه او سجنه أ سجنه او نفيه او وضعه تحت الاقامة الجبرية.
- يخير بعد ذلك بان يسافر صحبة امواله الى المكان الذي يختاره وبين ان يبقى في المدينة مع اسرته في حماية القائد العام ا وان يرحل ومن معه .

هنا يتضح ان نية فرنسا إبعاد السلطة الحاكمة لكي يتسنى لها فعل ما تشاء ولم تحرمه من أمواله رغم أنها جاءت لتأديبه بل جعلته يختار الوجهة التي يرغب فيها أو يرضى بالوضعية الجديدة .

كل الجنود الاتراك يتمتعون بنفس الحقوق والحماية من هنا يتضح جليا إ رضاء السلطة العثمانية من خلال عدم المساس بالاتراك الموجودين في الجزائر كي تبقى بعيدة الموقف من إحتلال الجزائر وتقلل من عزيمتها في إسترجاع أيالتها .

-إقامة الشعائر المحمدية تكون حرة ولا يقع أي مساس بالحقوق والحرية من مختلف طبقات ولا بدينهم ولا بأ ملا كهم ولا بتجارتهم وصناعتهم وتحترم نساؤهم والقائد العام يتعهد بذلك عهد الشرف .

[1] شارل أندري جوليان المصدر السابق ص104

وقع الداي حسين ودي بورمون هذه الوثيقة يو 07/5 /1830 قبل الساعة العاشرة وفي حال يتسلم الجنود القصبة وقلاع المدينة [1]وقدمت روسيا وهولندا والولايات المتحدة تهانيها لفرنسا على الخدمة التي أسدتها للبشرية بعد هذا ياترى ستفي فرنسا بوعودها التي عاهدت بها خاصة فيما يتعلق بالدين [2].

**2/ نقض المعاهدة :**

**أ/ سياسيا :**

أكد دوبورمون لجميع السكان أن الوجود الجيش الفرنسي بالجزائر لن يبقى بعد ستة أشهر هناك وهي نية الحكومة الفرنسية كما قال وأنه سيجلي جيشه عن الجزائر ويحكمها أعيانها إن هذه البنود وجهت لاتراك لتهدئة النفوس للخروج من الجزائر والذين لم يسلموا من الخطف والنفي عكس ما تتظمنه المعاهدة والتفريق بينهم وبين الاهالي زيادة على ترويج إشاعة وبثها في صفوف السكان وهي إتهامهم بتدبير مؤامرة ضد الفرنسيين[3].
ومن جهة أخرى إرضاء للشعب الجزائري خاصة الناقمين منهم على سياسة التمييز التي قامت بها السلطات التركية في الجزائر مما يجعلهم يسارعون للتقرب من سلطة المستعمر الفرنسي كما يقول حمدان خوجة أصبح كثير من السكان يطمحون إلى الرفعة وأمسى هدفهم الاوحد الوصول إلى إعتناق الحكم .

**2/ دينيا:**

الروح الصليبية المجسدة واقعيا جاء في المعاهدة أن السلطات الفرنسية يتحترم النساء والديانة لكن تم نقضها من طرف دوبرمون نفسه بعد سقوط الجزائر نصب الصليب وأقام الصلاة مع الجيش ورجال الدين ثم خطب قائلا لقدأعدتم معنا فتحباب المسيحية لافريقيا ونتمنى في القريب نعيد الحضارة التي إنطفأت فيها منذ زمن طويل[4] .

**3/ هدم الممتلكات الدينية :**

---

[1] حمدان عثمان خوجة المصدر السابق ص169.

[2] نفسه170

[3] شاوش حباشي من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي في الجزائر ط1 دار الهومة ، 1998مص12

[4] جباشي المرجع السابق ص14.

إن هذه المعاهدة بقيت حبرا على' ورق لانه تم خرقها من قبل الجيش الفرنسي بإستلائهم على الممتلكات الدينية من أماكن للعبادة والزوايا والاوقاف وحتى الاموات لم تسلم مدافنهم وقبورهم من النبش بحجة التوسعة أو مد بنى تحتية فقد أمر الدوق دورفيقو جيشالاحتلال بفتح ضاحية باب عزون وحصن الامبراطور فدمرت مقبرتين ، دون مراعاة لمعتقدات السكان ومشارعهم نبش القبور ليس بغرض مد الطرقات ، لصالح الساكنة وإنما هو إستفزاز لمشاعر المسلمين وهذا ما ولد شعورا بالسخط لدى الجزائريين فصرح حمدان ،عثمان خوجة :قريبا لن يمكننا أن نعرف أين نعيش وحتى أن نموت.[1] وكذلك إ ستخراج مواد البناء البناء من الحجارة والاجر ،وصناعة السماد

وتداول حديث على ان هذه العظام تستخدم لصناعة السكر الابيض وهو ما أكده بيربروجو حتى ان الامير عبد لقادر أفتى سنة 1838 بتحريم إستعمال السكر حيث أبلغه بوضربة بذلك [2].

وقد إعترف لامورسيير بما قام به الجيش الفرنسي من تدمير وإستلاء وتحويل للممتلكات الدينية

التعليلمية التي تناقض شعارات ومبادئ الثورة الفرنسية قائلا : حللنا بمدينة الجزائر فاتخذنا من المدارس ومخازنا وثكنات وإصطبلات إستحوذنا على أملاك المساجد والمدارس وكنا نعتقد أننا سنعلم الشعب الجزائري مبادئ الثورة الفرنسية ولكن مع الاسف أن المسلمين رأوا في ذلك ضرب للدين والعقيدة .

إن ضعف أيالة الجزائر الداخلي أسال لعاب فرنسا للظفر بها ودفعها لذلك عدة دوافع أهمها الدينية التي جسدت الروح الصليبية للفرنسيين وبالفعل سقطت الجزائر وأبرم راس نظامها السابق إتفاقا الداي مع قائد الحملة دوبرمون أقل مايقال عنه أنه بين غالب ومغلوب ومن أجل كسب الوقت وكبح للمقاومة قامت سلطات الاحتلال بتوزيع البيان وأهم ما فيه هوحماية الانسان الجزائري وعدم التدخل في ممتلكاته ودينه لكن هذا مالم يقع فنقض قائد الحملة وجيشه هذ الاتفاق في الاشهر الاولى وقامت السلطات الفرنسية بمحاولة فرنسة الشعب الجزائري والقضاء على كل

[1] جوليان المصدر السابق ص160

[2] المصدر نفسه ص162.

مقوماته الشخصية وإستولت على املاك الاوقاف التي كانت الممول الرئيسي للتعليم العربي الاسلامي وحاولت تجريد المواطن الجزائري من كل حقوقه وبالتالي نقول أن فرنسا الاستعمارية ضربت عرض الحائط كل التعهدات التي قطعها ساستهم وبقيت إتفاقية الاستسلام حبر على ورق ولم يتجسد منها أي بند وهنا نرى أن فرنسا قد خالفت كل المواثيق والاعراف الدولية وأن هدفها من هذا الاتفاق سوى كسب التأييد الدولي ومخادعة الشعب الجزائري.

## 2/ معاهدة باردو بتونس 1881 والظروف التي عقدت فيها:

في 12 ماي 1881م قدم القنصل العام الفرنسي بتونس إلى الباي محمد الصادق نسخة من معاهدة الحماية على الساعة الرابعة مساءا وأمهله أربع ساعات فقط للمصادقة عليها وفي حال الرفض أجبره أنه سيعزله ويتم تنصيب أخيه الطيب باي بدلا عنه وبإجتماع الباي بمجلس الدولة إختلفت الاراء بين معارض ومؤيد حول توقيع المعاهدة حيث تبنى أصحاب الموقف الرسمي فكرة توفيع المعاهدة وإلحاق تونس بفرنسا بسبب الازمة المالية وقد ظهر موقف معارض داخل المجلس تبناه العربي زروق الداي دعا الباي الى عدم الاستسلام والانتقال الى العاصمة وإعلان المقاومة وفي الاخير لم يقبل الباي ما ذهب إليه العربي زروق وأزاحه من منصبه أما العلماء فرفضو الحماية وتمثل رفضهم في المقاومات الشعبية لاسيما أثناء الدخول الفرنسي وأما السكان ورغم تعالي الاصوات المعارضة داخل مجلس الدولة قرر الباي في الاخير إلغاء الاجتماع والتوقيع على معاهدة الحماية [1].

وكان ممثلي الاستعمار في غرفة مجاورة للحجرة التي إجتمع فيها الباي مع رجاله ينتظرون الرد وعلى الساعة الثامنة مساءا وقع الباي على معاهدة الحماية ومنه فقدت تونس سيادتها وعرفت هذه المعاهدة بمعاهدة باردو أو قصر السعيد وقد تضمنت على مجموعة من البنود يمكن تلخيصها وإيجازها فيما يلي :

[1] علي المحجوبي المرجع السابق ،ص30.

-الاحتلال الفرنسي لتونس وإنما هو إحتلال مؤقت يزول متى إتفقت السلطتان العسكريتان الفرنسية والتونسية على أن الامن إستتب في البلاد التونسية

-فرنسا ملزمة بجماية الباي وأسرته .

-ينوب عن فرنسا وزير مقيم يراقب تنفيذ ما تتضمنه المعاهدة ويتمثل دو ر المقيم العام الفرنسي

في حكم تونس حكما غير مباشرا بواسطة السلطات التقليدية التونسية بإبقائهم في مناصبهم الادارية ولكنهم يخضعون لمراقبة المراقب العام أما الدفاع والعلاقات التونسية الخارجية فقد إنتقلت مباشرة الى سلطة الحماية .ولم يبقى للباي إلا السلطة الرمزية والملاحظ في هذه الاتفاقية أنه لم يذكر مصطلح الحماية وأي بند من البنود.[1]

**أ/نقض معاهدة باردو:**

لقد عالج البند الاول من المعاهدة جاء فيهاأن معاهدة الصلح والمودة والتجارة وجميع الاتفاقيات الاخرى بين الجمهورية الفرنسية وسمو الباي قد وقع تاييدها وتأكيدها وتحديدها وكذلك أن فرنسا من خلال هذه الاتفاقية لم تحترم بنودها سواء في الشق الديني أو فيما يخص الاحوال الشخصية وحماية الممتلكات ولقد تجاوزت السلطات الفرنسية حدود المعاهدة التي فرضا جبرا على تونس والغت فرنسا القضاء القنصلي حتى لا تتعارض مع الدول الاجنبية وألغيت اللجنة المالية وأعطت هذه المعاهدة حق فرنسا الاشراف على الديون التونسية والميزانية وجعلت منهامسيطرة على مصالح الدول الاوربية الاخرى وأجبرت هذه الاتفاقية الباي على إدخال إصلاحات ادارية ومالية التي ترى فرنسا ضرورة تطبيقها في هذه الايالة ومن خلال تحليل محتوى البنود إن فرنسا لم تحترم بنودها ولا مواثيقها فقد ضربت عرض الحائد كل إلتزاماتها في كل المجالات سياسيا وإقتصاديا وثقافيا أما بالنسبة لنظام الحماية ماهو إلا وسيلة إستعمارية كان الغرض منها إيهام الراي العام الدولي بأنها

[1] محمد الهادي الشريف ، المرجع السابق ص100.

ليست دولة إستعمارية وإنما هي فقط تريد أن ترافق تونس وتوجهها ولكن الواقع يثبت عكس ذلك مع أن فرنسا لاول مرة تستعمل هذا النوع من الاستعمار وهو الحماية لكنها لم تفي بما جاء في هذه المعاهدة والواقع أثبت عكس ذلك ومن أجل توسيع القاعدة الاستيطانية أصدرت الكثير من المراسيم العقارية لنهب الاراضي وهذا ما يتنافى مع المعاهدة وأرادت كذلك تجنيس الشعب التونسي ونفس الشئ إنطبق على التعليم وحاولت إلغاء التعليم العروبي الاسلامي والتشجيع على التعليم الفرنسي [1].

**3/ أوجه التشابه والاختلاف بين المعاهدتين :**

أ/ **أوجه التشابه:**إن الاحتلال الفرنسي للجزائر وفرض الحماية على تونس من خلال معاهدتين ابرمتهما السلطات الفرنسية الاولى مع الداي حسين والثانية مع محمد الصادق فكلا المعاهدتين ما هما سوى تقين للظاهرة الاستعمارية الفرنسية في القطرين وعقدت هاتين المعاهدتين في فترة كان فيها البلدين في مرحلة ضعف في كل الجوانب وأن الشروط والبنود التي تتضمنها لم تكن في صالح القطرين يعني حكم الغالب على المغلوب وان فرنسا لم تحترم بنود الاتفاقيتين في كل الجوانب فالدين والشعائر والممتلكات والمقومات الشخصية بكل جوانبها وأن فرنسا بموجب المعاهدتين أصبحت الجزائر وتونس مستعمرتين فرنسيتين[2] .

وعليه نقول أن هناك تشابه في الكثير من البنود ومنها الظرفية المكانية والزمانية التي تم من خلالها إ برام هاتين المعاهدتين وبعض البنود التي تضمنها منها إحترام الاحوال الشخصية والممتلكات وأن كلاهما فقد سيدته على إثرها وهذا في الحقيقة هوتحصيل حاصل نظرا للظروف التي مرت بها الجزائر في أواخر الحكم العثماني أو تونس وما تعرضت له من أزمة مالية حادة وكلا البلدين كانا تحت راية الحكم العثماني بحيث فرنسا لم تعقد المعاهدتين مع السكان الاصليين وإنما مع السلطة الحاكمة وهي تا بعة للدولة العثمانية سواءا الداي حسين أو محمد الصادق اما بالنسبة لبعض البنود نجد أن الجزائر تضررت أكثر بكثير من تونس وهذا يرجع لعدت عوامل سياسية وإقتصادية إجتماعية

[1] جوليان المصدر السابق ص 164.

[2] نفسه ص 170.

املتها معطيات الزمان وتفاعله مع المكان وغذتها الرغبة الفرنسية في إحتلال شمال إفريقيا والقطرين الجزائري والتونسي بالخصوص.

**ب/ أوجه الاختلاف :** لقد إتخذت فرنسا الكولونيالية أنواع من الاستعمار منها نظام الحماية الذي فرضته على تونس أو الاستعمار الاستيطاني الذي طبقته فب الجزائر فلو نتمعن في بنود المعاهدتين نجد أن هناك إختلاف في بعض بنود المعاهدتين ففي تونس أبقي على حكم الباي بصفة صورية أي انه ليس حكم مباشر أي فرنسا إستولت على تونس بطريقة غير مباشرة وأستعمل هذا النوع من الاستعمار لاول مرة بينما في الجزائر العكس تماما فلم تبقي على الحكم العثماني بل حكمت الجزائر بطريقة مياشرة أماالداي فتم إجباره على الخروج من الجزائر واالختلاف يكمن أيضا في الظرفية الزمانية والمكانية التي وقعت فيهما هاتين المعاهدتين فظروف الجزائر كانت أصعب من تونس في أغلب الاحيان .

# الخاتمة:

في ختام دراستنا المتواضع هاته توصلنا إلى مجموعة من النتائج والملاحظات لخصنها كما يلي:

لقد كانت أوضاع الجزائر في نهاية الحكم العثماني كلها توحي إلى مدى الفساد والانحطاط الذي أملته الظرفية المكانية والزمنية وعلى جمع الأصعدة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا كما أن تونس قبل فرض الحماية شهدت أوضاع مزرية نتيجة البذخ والفساد محاولات الإصلاح على الطراز الأوربي وتهاون البايات والوزراء لتجد نفسها تتخبط في مشاكل وأزمات مالية واضطرابات داخلية كان لها دور في التكالب الأوربي عليها . ومن خلال الدراسة كذلك استنتجنا أن فرنسا طبقت على البلدين سياستين مختلفتين سواء من الناحية السياسة الاستعمارية الفرنسية أو من ناحية طبيعة الاستعمار فالأول كان استعمارا استطابا مباشرا يعني أن الجزائر كانت مقاطعة من المقاطعات الفرنسية ، أما الثاني فكان استعمارا غير مباشر وهو نوع من أنواع الاستعمار بالإضافة إلى أن الدوافع التي استعملتها فرنسا للاحتلال القطرين تختلف نوعا ما وهذا يرجع إلى طبيعة وخصوصيات القطرين. كما نجد أن فرنسا نقضت كل وعودها التي أقرتها ف المعاهدتين التي أبرمتهما مع الجزائر وتونس وهي تعتبر حبر على ورق ولم تلتزم ببنودها في كل الجوانب فقط فرنسا أرادت تظليل الرأي العام العالمي بهاتين المعاهدتين وتقنين إن صح المصطلح احتلالها للبلدين وعليه نقول أن تونس كانت مخصوصة نوعا ما من نظيرتها الجزائرية في طبيعة السياسة الاستعمارية التي استعملتها فرنسا والتي ما زلنا نعاتي من تداعياتها إلى يومنا هذا وعليه نقول أن فرنسا لم تحترم لا المعاهدات ولا الاتفاقيات التي أبرمتها مع بلدان شمال إفريقيا منذ القدم.

# الملاحق

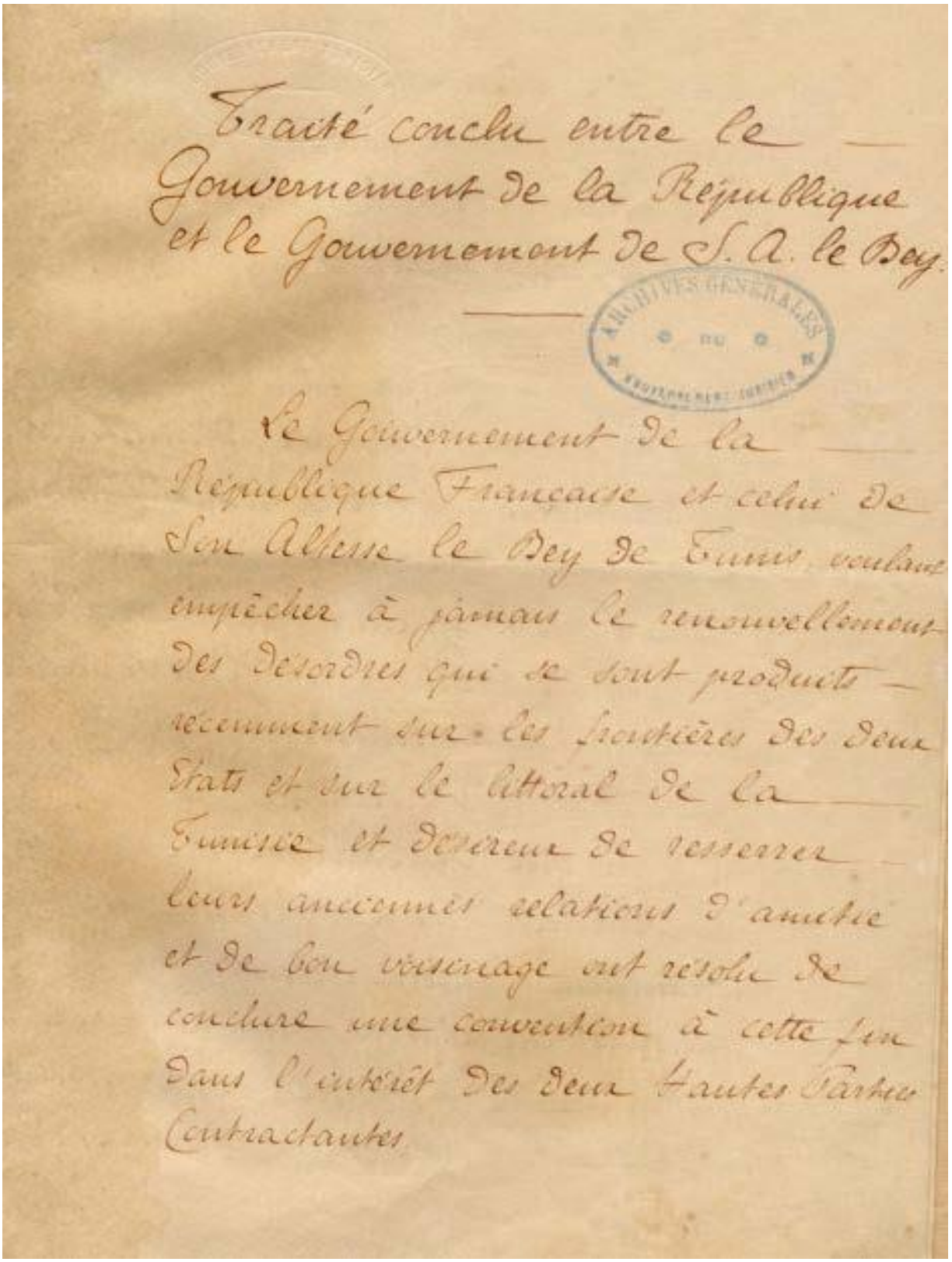

Traité conclu entre le Gouvernement de la République et le Gouvernement de S. A. le Bey.

Le Gouvernement de la République Française et celui de Son Altesse le Bey de Tunis, voulant empêcher à jamais le renouvellement des désordres qui se sont produits récemment sur les frontières des deux Etats et sur le littoral de la Tunisie et désirant de resserrer leurs anciennes relations d'amitié et de bon voisinage ont résolu de conclure une convention à cette fin dans l'intérêt des deux Hautes Parties Contractantes.

المجلة الافريقية مج 6 1862 ص156

# ANNÉE 1830.

COMMAND$^{t}$. DU LIEUTENANT-GÉNÉRAL BOURMONT (1).—JUILLET.

5 *Juillet* 1830. — *Convention entre le général en chef de l'Armée française et Son Altesse le dey d'Alger.*

Le fort de la Casbah, tous les autres forts qui dépendent d'Alger, et le port de cette ville, seront remis aux troupes françaises ce matin, à dix heures (heure française).

Le général en chef de l'Armée française s'engage envers Son Altesse le dey d'Alger à lui laisser sa liberté et la possession de toutes ses richesses personnelles.

Le dey sera libre de se retirer avec sa famille et ses richesses particulières dans le lieu qu'il fixera ; et tant qu'il restera à Alger, il y sera, lui et sa famille, sous la protection du général en chef de l'Armée française. Une garde garantira la sûreté de sa personne et celle de sa famille.

Le général en chef assure à tous les soldats de la milice les mêmes avantages et la même protection.

L'exercice de la religion mahométane restera libre. La liberté des habitants de toutes les classes, leur religion, leurs propriétés, leur commerce et leur industrie, ne recevront aucune atteinte. Leurs femmes seront respectées.

Le général en chef en prend l'engagement sur l'honneur.

L'échange de cette convention sera fait avant dix heures, ce matin, et les troupes françaises entreront aussitôt après dans la Casbah, et successivement dans tous les forts de la ville et de la marine.

Au camp devant Alger, le 5 juillet 1830.

HUSSEIN PACHA (2). Cte de BOURMONT.

علي المحجوبي المرجع السابق ص152.

# المصادر والمراجع

**االمصادر :**

بي صاف: اتجاف أهل الزمان ، ج6

احمد الشريف الزهار: مذكرات نقيب الجزائر ، 1754 /1836 ، تح ونشر احمد توفيق المدني ، ش و ن ت ال1993.

احمد توفيق المدني : كتاب الجزائر . المؤسسة الوطنية للكتاب . الجزئرية

عثمان حمدان خوجة المراة تحقيق محمد العربي الزبيري الجزائر 1975.

ثامر جبيب: هذه الجزائر تونس .مطبعة الرسالة . القاهرة . 1948.

جمال قنان: نصوص ووثائق تاريخ الجزائر .الحديث 1830/1500 المؤسسة الجزائرية للنشر .

شالر وليام : مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر ،1816 /1824 تع وتع ،تق إسماعيل العربي ، ش و ن ت الجزائر

سبنسر وليام: الجزائر في عهد رياس البحر .ترجمة : عبد القادر زيادية ش .و ن ت الجزائر .

شارل روبير اجيرون .تاريخ الجزائر المعاصرة تر:عيسى عصفور منشورات عويدات ط1 دار النهضة العربية بيروت.

**المراجع:**

شاوش حباسي : (فرض االحماية الفرنسية على تونس ورد الفعل التونسي (1881–1883م) ، مجلة دراسات التاريخية، ج8، الجزائر.

صلاح العقاد ،المغرب العربي الحديث والمعاصر الجزائر تونس المغرب الأقصى ،ط1مكتبة الانجلو المصرية ،مصر 1993.

عبد الجليل التميمي . بحوث ووثائق ط2 الجزائر 1985.

عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2 ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982.

عبدالجليل التميمي ، بحوث ووثائق في تاريخ المغرب العربي 1816 /1871 ط1

العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية ، دار المعرفة ، الجزائر، 2006.

علي سلطان . تاريخ العرب الحديث . 1516 / 1918 منشورات مكتبة طرابلس العالمية طرابلس د ت .: يحي محمد بهاء: معجم مصطلحات التاريخ، ط1، دار باقا للنشر والتوزيع ، الأرد محمد زروال : العلاقات الفرنسية الجزائرية .1791 1830 الجزائر.

محمد عصفور سليمان: الحماية الفرنسية على تونس عام 1881 م الموقف العثماني والأوربي منها

محمد علي داهش: دراسات في الحركة الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي دمشق ,

مولود قاسم نايت بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830 دار الأمة 2007 الجزائر ..

ناصر الدين سعيدوني موظفو الدولة ،الجزائر في القرن التاسع عشر م و،ف،م ،الجزائر .

نور الهدى قسيمية: الحماية الفرنسة على تونس وردود الفعل الدولية، مرجع سابق.

وولف الجزائر وأوربا .تر : سعد الله م وك .1986

يحي بوعزيز: ( دور تونس في دعم حركات التحرر في الجزائر، وموقف الجزائريين من احتلالها عام 1830م)، مجلة الثقافة.

## المذكرات :

جميلة عزيزي لا مية بن عمر قضايا تونس تضامن الجزائريين معها من خلا ل جريدة المنار 1951/ 1954مذكرة ماستر جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

# الفهرس

| قائمة المحتويات | | الرقم – الصفحة |
|---|---|---|
| **الفصل الأول** | .....23/..05.... | |
| أوضاع الجزائر وتونس قبل الاحتلال وفرض الحماية الفرنسية | .....22 | |
| المبحث الأول: أوضاع الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي | ..... | |
| أولا الوضع السياسي | .....22 | |
| 1/ الاضطراب والفوضى وفساد نظام الحكم | 23 | |
| 2/الثورات الشعبية التهديد الداخلي | .....24... | |
| أ/ ثورة الشريف بن الاحرش | .....24... | |
| ب/ثورة محمد التيجاني | .....25. | |
| ج/ اليهود وإضعاف الجزائر | .....25 | |
| 3/ :الوضع العسكري والتحرش الأجنبي | .....26 | |
| أ/ الوضع العسكري | .....27..... | |
| 3/التحرشات الأجنبية والتهديد الخارجي | .....27.. | |
| ا/تونس والمغرب | .....27... | |
| ب/الدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية | .....28.. | |
| التنافس الاستعماري الفرنسي البريطاني | .....28. | |
| 1/ الحملة الأمريكية 1815 | .....29 | |
| 2/ الحملة الانجليزية 1816 | .....29. | |
| 4/ الحملة الانجليزية عام 1824 | .....29... | |
| /المبحث الثاني : أوضاع تونس قبل فرض الحماية | .....29.. | |
| ا/الأوضاع في عهد حسين باي الثاني 1824 /1835 | .....30 | |
| ب/الأوضاع في عهد احمد باي 1837 /1855 | .....30 | |

| | | |
|---|---|---|
| ج/الأوضاع في عهد محمد باي 1855 1859 | .....30 | |
| قانون عهد الأمان 1857 | .....31 | |
| د/الأوضاع في عهد محمد الصادق 1859 1882 | .....31 | |
| **الفصل الثاني:** | .....32 | |
| المبحث الأول : دوافع الحملة الفرنسية على الجزائر | .....32 | |
| 1/ الأسباب السياسية والعسكرية | .....33... | |
| الأسباب الاقتصادية | .....34.. | |
| الأسباب الدينية | .....35 | |
| السبب المباشر للحملة | .....35 | |
| الحصار البحري | .....35 | |
| المبحث الثاني: دوافع وخلفيات فرض الحماية الفرنسية على تونس | .....36 | |
| | ..... | |
| 1/ أسباب الحماية الفرنسية على تونس: | .....37 | |
| أولا: أسباب سياسية: | .....38... | |
| ثانيا: أسباب إستراتيجية: | .....40.. | |
| ثالثا: الأسباب الاقتصادية: | .....40. | |


40

| قائمة المحتويات | | الرقم – الصفحة |
|---|---|---|
| 1–احتلال تونس وإعلان الحماية الفرنسية عنها | .....42..... | |
| ثانيا : رد فعل دول المغرب العربي (الجزائر طرابلس الغرب) | .....43.... | |
| أولا : الجزائر | .....44.. | |
| ثانيا: طرابلس الغرب | .....45... | |
| ثالثا: رد فعل الدول الأوروبية | .....4647 | |
| | ..... | |

| | | |
|---|---|---|
| **الفصل الثالث:** | ....50..... | |
| مقارنة بين معاهدة إستسلام الجزائر 1830ومعاهدة باردو بتونس1881 | .....56.. | |
| المبحث الأول :مقارنة في دوافع الاحتلال والخلفيات | .....60 | |
| المبحث الثاني : أوجه التشابه والاختلاف بين المعاهدتين | .....64.... | |
| | | |
| | | |



| قائمة المحتويات | | الرقم – الصفحة |
|---|---|---|
| الهوامش | .....69..... | |
| الملاحق | .....70.... | |
| الخاتمة | .....73..... | |
| الفهرس (فهرس المحتويات) | 75 | |

**ملخص الدراسة:**

تعرضت تونس خلال القرن التاسع عشر إلى تنافس استعماري بين القوى الاوربية الممثلة في كل من فرنسا و بريطانيا و ألمانيا و إيطاليا، و تقرر مصير تونس في مؤتمر برلين الأول عام 1878 و انتهى الأمر لفرنسا في إطار تقاسم مناطق النفوذ و عليه دخلت تحت نظام الحماية الفرنسية منذ عام 0110 ،و إزاء هذا الوضع نظموا المقاومة الشعبية المسلحة كرد فعل على رفض الاحتلال في شتى أنحاء البالد قادها زعماء منهم علي بن خليفة وعلي بن عمار العياري و رغم فشل المقاومة لعوامل عدة ظهر العمل السياس ي بداية من 0041 في حركة الشباب التونس ي التي كان من مطالبها : إيجاد نظام سياسي يتلاءم و التصور العصري لواجبات و حقوق الحاكم و المحكوم و إشراك الأهالي في حكم بالدهم و سن قضاء مستقل يضمن للتونسيين حقوقهم و غيرها من المطالب المتعددة سياسية اقتصادية و اجتماعية و ثقافية، و بتزايد نشاط الحركة عملت سلطة الاحتلال على قمعها و التضييق عليها بل و نفي زعمائها علي باشا حمبة وعبد العزيز الثعالبي خاصة بعد أحداث ما يسمى بـ "الترامواي "و" الزلاج " التي انتهت بأحداث دامية .كلمات مفتاحية: تونس، التنافس استعماري، الحماية الفرنسية، العمل السياس ي، المقاومة المسلحة.

**Abstract:**

During the 19th century, Tunisia was subjected to colonial rivalry between European powers represented in France, Britain, Germany and Italy .Tunisia's fate was decided at the first Berlin conference in 1878 and ended up in France's favor in the context of sharing spheres of influence, so it has been under the French protectorate system since 1881.In response to this situation, they organized the Armed People's Resistance as a response to the rejection of occupation throughout the country, led by leaders including Ali ben Khelifa and Ali ben Ammar El-Ayari, and Despite the failure of resistance to several factors, political action emerged from 1907 in the Tunisian youth movement, whose demands were: to create a political system that fits the modern perception of the duties and rights of the governor and the governed, and to involve the community in the rule of their country and to enact an independent judiciary that guarantees Tunisians their rights and other multiple political, economic, social and cultural demands .With the movement’s activity increasing, the occupation authority worked to suppress and restrict it and even exiled its leaders “Ali Bach Hamba and Abd Abdelaziz Thâalbi”, especially after the events of the so-called “Tramway” and “El-Zalaj” which ended with bloody events. Keywords: Tunisia, colonial rivalry, French protectorate, political action, armed resistance.